



جرائم أمريكا والغرب

١

جرائم الأمريكان
في هذا الزمان



oboiikan.com

مقدمة

لا يختلف اثنان الآن في أن بلادنا تتعرض لعدوان أمريكي صهيوني يتكرر بصورة تكاد تكون رتيبة ، وأن هناك مخططاً للقضاء على حيوية هذه الأمة وإضعافها والسيطرة عليها ، إن لم يكن إزالتها من على خريطة العالم شكلاً وموضوعاً ، والجرائم الأمريكية في حق شعوبنا أكثر من أن تحصى ، بدءاً من دعم الكيان الصهيوني ، أو على الأقل المشاركة مع الغرب عمومًا في إقامته وتقويته حتى يكون مفرزة غربية - وأمريكية متقدمة لتحقيق الأهداف الغربية وبالتالي الأمريكية باعتبار أمريكا وريثة الاستعمار العنصري الغربي والصليبية الغربية ؛ ويستهدف هذا الكيان باستمرار إضعافنا وإلحاق الأذى بنا ومساعدة أمريكا والغرب في نهبنا والقضاء علينا في النهاية ، في إطار الصراع الحضاري المستمر في الزمان والمكان بين الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية .

وجريمة إقامة إسرائيل في حد ذاتها بما ترتب عليه من تشريد شعب عربي إسلامي كامل هو الشعب الفلسطيني ، والمعاناة المستمرة لهذا الشعب طوال عشرات السنين وبشكل يومي من تشريد وقمع وتعذيب وانتهاك للحرمات يكفي وحده لاعتبار أمريكا هي الشيطان الأكبر والعدو رقم (١) لنا ، فضلاً عن أن أمريكا تعلن الآن وبوضوح أن الإسلام هو العدو الرئيسي لها ، ويجب تجهيز قوات حلف الأطلنطي لمواجهة هذا التحدي !! ناهيك عن جرائم أمريكا بحق الشعوب العربية والإسلامية من حصار وتجويع لشعوب العراق وليبيا والسودان وإيران ، إلى ضرب ليبيا وإيران والسودان وأفغانستان ، إلى التآمر المستمر على مصر والسودان عن طريق محاولة تقسيم السودان التي هي خطر على مصر أكثر مما هي خطر على

السودان ، وكذلك تحريض دول حوض النيل على مصر .. الخ .

وهكذا ، فإننا لا نملك إلا المواجهة ، نحن لا نحب الحرب ولا المواجهة «سلوا الله العافية» ، ولكن علينا أن نثبت في المعركة ، ويجب ألا ندفن رؤوسنا في الرمال ، فالغرب عموماً - وأمريكا خصوصاً - لن يكف عن محاولة إبادتنا ، فالمعركة لم تتوقف منذ ظهور الإسلام حتى الآن ، وكل ما مر بنا من صراع ما هو إلا محطات رئيسة أو فرعية على هذا الطريق الطويل ، والعدوان الصليبي متجذّر في نفوس أبناء الحضارة الغربية من حكام وساسة على وجه الخصوص ، والحضارة الغربية قائمة أساساً على القهر والنهب والعنف والعنصرية والعدوان ، وبالتالي فأمريكا لن تكف عن ضربنا والتآمر علينا ، ؛ فيجب أن نفهم طبيعة العدو أولاً ثم نحدد طبيعة المعركة ثم وسائل المواجهة ، والعدو ، بداية ، عدو شرس وعدواني ، وقد قام أساساً من خلال إبادة شعب الهنود الحمر ، ثم أقام تقدماً صناعياً على أكتاف وسواعد العبيد السود المستشرقين ؛ ثم مارس العدوان هنا وهناك في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وهو لا يستطيع التوقف عن العدوان ؛ فهذا في صميم بنيته الحضارية والسياسية بل ورفاهيته . ومكاسبه لم ولن تأتي إلا بالعدوان ، ولأننا متخلفون تكنولوجيا بالنسبة للعدو الإسرائيلي ؛ فإن الحرب المنظمة والقائمة على الجيوش النظامية والقدرات العسكرية نتيجتها محسومة سلفاً ، لصالح عدونا ، وبالتالي فعلى أن نبحث عن أسلوب آخر للمواجهة ، فلا يعني تفوق العدو التكنولوجي أنه لا أمل ، بل إنني أرى أن هناك نقط ضعف كبيرة في عدونا إذا فهمناها وأحسنّا استخدامها ، فيمكن أن نحقق النصر أو الصمود على الأقل . وبداية ، فإنه ينبغي أولاً التأكيد على الهوية الحضارية الإسلامية وتحريك شعوبنا عن طريق الوجدان الإسلامي «الأيدولوجية الإسلامية» ، هذا فضلاً عن أنه الأسلوب الوحيد الصالح لتنشيط

خلال الأمة وتقويتها ، فإنه سبيل إلى تصفية نفوذ العدو - العلمانية - داخلنا وزيادة مناعتنا ، وحمايتنا من الهزيمة من الداخل ، وثانيًا : ينبغي اعتماد أسلوب حرب العصابات والحرب الجماهيرية والمواجهة الشعبية ، وهذا يقتضي أولاً توجيه كل القوى باتجاه العدو وليس إلى بعضنا البعض ، وأعتقد أن مواجهة العدو بسلاح الاستشهاد مثلاً هي مواجهة ناجحة ، وهو سلاح لا يمكن القضاء عليه أو إلغائه مفعوله مهما كانت قوة العدو واستحكاماته واستخباراته ، وأذكر أنه عندما قام المجاهدون في لبنان بتنفيذ عملياتهم الرائعة ضد مقر قيادة مشاة البحرية الأمريكية في بيروت «المارينز» عام ١٩٨٣ ، وأدت العملية إلى مقتل وإصابة مئات الأمريكيين ، وقف الرئيس الأمريكي وقتها - رونالد ريغان أمام الكونغرس ليقول : «إنه ليس هناك حل لمواجهة مثل هذه العمليات ؛ لأن جميع الاستحكامات العسكرية والاستخبارية في العالم قائمة على استغلال عنصر خوف المهاجم من الموت ، فإذا كان المهاجم لا يخشى الموت ، بل يحرص عليه ويصر عليه ويريده مقدماً ، فإنه لا حل هناك» .

وهكذا عبر ريغان دون أن يدري عن أن هناك سلاحاً نمتلكه ليس في مقدور الأمريكيان ولا غيرهم إبطال مفعوله ، وبالتالي فقد كشف لنا الطريق الصحيح للمواجهة ، ولا شك أن ما حدث بعد ذلك من عمليات ضد إسرائيل نفذها حزب الله أو حماس أو الجهاد الإسلامي كلها أكدت هذه الحقيقة ، فلا الاستحكامات العسكرية الإسرائيلية ، ولا قدرات الاختراق والتجسس التي تمتلكها إسرائيل ومن ورائها أمريكا استطاعت أن توقف سيل هذه العمليات .

نعم ، أمريكا أقوى دولة في العالم ، وهي تمتلك المال والسلاح والنفوذ السياسي ولكنها لا تستطيع أن تحمي كل مصالحها في العالم إلا بأعباء ثقيلة لا تستطيع

جرائه أمريكا والغرب

احتياها طويلاً وكذلك إسرائيل التي تستمد قوتها من قوة أمريكا أما نحن فنمتلك القدرة على الضرب في أماكن غير متوقعة ، ويمكننا أن نسبب لأمريكا صراعاً مستمراً وخسائر باهظة ، والأمر أشبه بالحرب بين الفيل والنمل ، فقوة الفيل وكبر حجمه هي نفسها عناصر ضعفه ، وصغر حجم النمل وكثرته هي عناصر قوته .



■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

أمريكا قامت
من خلال
الجريمة الكبرى
«إبادة الهنود الحمر»



oboiikan.com

ليس في التاريخ دولة كبرى أو صغرى قامت من خلال الدخول إلى بلد عام بالسكان ثم إبادة أهله ، ثم بناء دولة على أنقاض شعب هذا البلد الأصلي إلا أمريكا ، وإسرائيل ، وربما لهذا السبب تجد التحالف المستمر والتعاطف الأمريكي مع إسرائيل ، مع الأخذ في الاعتبار الأسباب الأخرى للدعم الأمريكي لإسرائيل . وإذا اعتبرنا قيام المهاجرين الأوروبيين بإبادة شعب الهنود الحمر هي جريمة غير مسبقة وجريمة كبرى ، فإن الأمر نفسه بالنسبة لليهود المهاجرين إلى فلسطين الذين طردوا أو أبادوا الفلسطينيين « شعب البلاد الأصلي » وأقاموا المجتمع الصهيوني على أنقاض الشعب صاحب الأرض ، والجريمة الثانية هي أيضاً تدخل تحت مسئولية الولايات المتحدة الأمريكية والغرب ؛ لأن إسرائيل هي صنعة الغرب عامة وأمريكا خاصة .

ويدعى كل من الأمريكان والصهاينة أنهم استوطنوا بلاداً خالية من السكان ، وهذا بالطبع ، أكبر كذبة في التاريخ أيضاً ، أي أن الجريمة هنا مركبة ، جريمة إبادة وجريمة كذب ، فمن المعروف أن العرب سكنوا فلسطين لمدة متصلة تقدر بآلاف السنين وأنشأوا حضارة بها ، بل وثقافة عالمية ، وكانوا جزءاً من الحضارة الإسلامية بعد الإسلام وظهر منهم العديد من الأدباء والشعراء والفنانين والعلماء ، وحتى الآن أيضاً برغم الشتات .

ومن المعروف أيضاً أن هناك الكثير من الحضارات والعلاقات الاجتماعية والسكانية ظهرت في القارة الأمريكية قبل اكتشاف كريستوفر كولومبس لها سنة ١٤٩٢ وبدء الهجرة الأوروبية إلى الأمريكتين ، فكانت هناك حضارة الشيمو ، وحضارة الأنكاس اللتان بلغتا درجة عالية من التطور السياسي والاقتصادي والإداري والديني ، وهناك حضارة الأزتيك التي أقامت دولة كبيرة تحت حكم ملكي تميز بتطور الإدارة والعمارة قبل أن يديرها الفاتحون الأوروبيون .

وبرغم أنه أصبح من المعروف الآن أنه تمت إبادة حوالي ١١٢ مليون هندي على الأقل ، وذلك أيام كان عدد سكان إنجلترا مثلاً حوالي ٣ ملايين شخص ، أي بحسبة بسيطة ٣٧ ضعف عدد سكان إنجلترا ، أي بحساب هذه الأيام حوالي ٢٠٠٠ مليون إنسان ، ولا يقف الرقم عند ١١٢ مليون هندي تمت إبادتهم بل إن البعض يقدر عدد الهنود الذين أبيدوا بعدة مليارات من البشر ، على كل حال ، فإن عدد ١١٢ مليون قد تبناه هنري فاردوينز - عالم الآثار والتاريخ .

تقول سوزان خوناس ، إنه بعد الغزو الأوروبي بوقت قصير عانى الهنود من حرمان مادي منظم ، وأن لاس كاساس يقول : إن خمسة ملايين حالة وفاة بين هنود جواتيالا فقط بين سنة ١٥٢٤ ، ١٥٤٠ وأن ما يتراوح بين ثلثي وستة أسباع السكان الهنود في أمريكا اللاتينية والمكسيك ماتوا ، ما بين عامي ١٥١٩ ، ١٦٥٠ .

وبرغم هذه الحقائق المعروفة للجميع ، فإن الكذب لا يقتصر على العامة في أمريكا أو حتى غير المتخصصين بل يصل إلى كبار قادة الفكر والفلسفة والعلوم ، فآدم سميث « معبود الاقتصاديين الرأسماليين » ينكر وجود سكان في أمريكا أصلاً ، اللهم إلا في بيرو والمكسيك ، وقد دمرت هاتان الأمتان في بيرو والمكسيك بمجرد اكتشافهما تقريباً ، أما الباقون فكانوا مجرد متوحشين .

والفيلسوف الأشهر هيجل يقول :

« إن الأمريكيين الأصليين » الهنود الحمر « كانوا معدومي القوة الجسدية والنفسية ، ومن هنا تلاشى السكان الأصليون » الهنود الحمر « تدريجياً أمام أنفاس النشاط الأوروبي » .

والحقيقة أنهم تلاشوا أمام المدافع والبنادق وحرب الإبادة المنظمة .

الحقائق التاريخية تقول : إن أمريكا قبل الاكتشاف كانت تعج بالنشاط الإنساني

والحضاري وكان بها من السكان في أقل تقدير ما يعادل ٣٧ ضعف سكان انجلترا في ذلك الوقت ، وربما أكثر من القارة الأوروبية بأكملها .. كان ذلك العالم معروفاً، مسكوناً قبل رحلة كولومبس بآلاف السنين ليس فقط بمن أطلق عليهم الهنود الحمر ، وإنما أساساً بأسلافهم منذ آلاف السنين .

الذين وصلوا إليه في هجرات متتابة منذ أكثر من عشرة آلاف سنة قبل الميلاد^(١) .

يقول د. عمر الفاروق أستاذ التاريخ بآداب عين شمس « في تطور متقارب زمناً مع العالم القديم انتقلت هذه الجماعات من مرحلة جمع الغذاء إلى إنتاجه منذ الألف الخامسة قبل الميلاد في جنوب غرب المكسيك ، كما عرفت الزراعة المنظمة للبقول والدرنيات في بيرو منذ الألف الثالثة قبل الميلاد ، كما زرعت المانيوق واليام وغيرهما من المحاصيل الجذرية في غابات الأمازون الكثيفة نحو هذا التاريخ ، وظهرت فيما بعد حضارات معروفة ، هي : حضارات الأفكا والمايا والأزتيك ، هذه التي شكلت نسيجاً متقدماً للغاية مع معطيات المكان ، وقدر لها أن تواجه موجات الغزو الأولى مواجهة غير متكافئة ؛ انتهت بتدمير هذا النسيج ، خاصة ما اقترفه بيزارو بحضارة الأفكا ، لقد دمر الأوروبيون كل شيء من شأنه أن يمنح صورة وإفية عن هذه الحضارات قبل الكشوف ، ولم يبق سوى ما سجلوه بأنفسهم أو دونوه ، بالإضافة إلى ما كشفت عنه بعثات الحفائر والأثرية ، فهي التي أثبتت وجود حضارات راسخة منذ الألف الأولى قبل الميلاد ، وقد شيد المايا مبنى تششن إتزا الكبير في تاريخ بناء كاتدرائية مالزبوروي نفسه ، وحين دخل بيزارو المكسيك سنة ١٥٣١ وجد دولة منظمة منذ قرون وإلى الجنوب منها سلسلة من الحضارات إلى بوليفيا

(١) عمر الفاروق - دراسة بمجلة القاهرة - فبراير ١٩٩٣ تحت عنوان بانوراما رحلة كولومبس ، صورة العالم عشية الرحلة .

ويرو ، وقد وزعت المدرجات بعد أن نقلت إليها التربة من السهول تخدمها شبكة من قنوات الري ، وتتحرقها الطرق الجبلية الممهدة لمئات من الأميال ، وقد مدت الجسور فوق الخنادق والوديان ، كما شيدت السدود . أما العاصمة فيلكا بامبا ، فكانت مثل عش العقارب فوق الجبال ، وقد وجدت في معبدها وثائق مدونة على الورق أو منقوشة على الصخور ، يعبدون الشمس مثل الأزتيك وجيرانهم ، بل كانت هذه العبادة سائدة في كل مكان دون أن يمنع ذلك من وجود عبادات أخرى ، من الآلهة المحلية المحدودة الانتشار . ورغم وحدة الثقافة فقد تعددت اللهجات ، كما استخدموا الأسلحة والأدوات واستأنسوا الحيوانات ، وعن طريق التهجين حصلوا على الجمل من نوع « جواناكو » المعروف الآن باسم الجمل الأمريكي ، وكما سكنوا في القرى ، شيدوا المدن ، ونضجت الجماعة ، وأصبحت مجتمعا متماسكا ، لكن هجرات الغزاة المدمرة ، أطاحت عن عمد بها وبهم ، فتراجعوا إلى مناطق العزلة في الهضاب والجبال العالية ، غير أن نسيجهم الثقافي والأثنولوجي لم يندثر ، وبقي حتى الآن يعلن عن وجودهم .

وكانت القارة الشمالية عامرة أيضا ، في منطقة الإسكيمو القطبية توزعت في الغابات الصنوبرية جماعات صيادي الشمال وعلى طول الساحل الباسيفيكي جماعات ساليسن وكواكتيل ، ويعملون في صيد الأسماك خاصة سمك السلمون ، وفي جنوب كاليفورنيا يجمعون الثمار والجذور ، وفي الشمال الشرقي جماعات البلانكنوت والموهيجان ، وتحترف الصيد وجماعات إيرى وشوكتاو حول البحيرات ، بامتدادات في السهول الوسطى ، متداخلة مع صيادي البيسون ، وفي مينو ستاو داكوتا يتوزع الكرو والسويان والسيروكي والأباشي في الجبال وغير ذلك من القبائل والجماعات ، التي تقاسمت القارة فيما يشبه مناطق 'لنفوذ تتجمع كل

مجموعة منها في تحالفات داخل إطارات لغوية ، بحكم وحدة مصدر الهجرة منذ آلاف السنين ، فهم بالتأكيد ليسوا هنودا وليسوا حمرا، كما أطلق عليهم كولومبس غداة وصوله لهذه القارة قديمة التعمير » .

وهكذا ، فنحن أمام عالم مأهول بالسكان ، لهم لغاتهم وأديانهم وثقافتهم ومبانيهم ، بل وعلاقاتهم ببعضهم البعض فضلاً عن عاداتهم وتقاليدهم ، وبالتالي فهم يشكلون حضارات موجودة وليست متوترة ، فلم يأت الغزاة الأوروبيون إلى مناطق خالية أو همجية كما يزعمون .

وقصة اكتشاف أمريكا ، وإبادة شعبها هي القصة الحقيقية للهمجية كما يقول فيليب عطية ، وهو طبيب ومؤلف ومترجم وكتب قصة الهمجية في مجلة القاهرة - فبراير ١٩٩٣ ، ووضع لدراسته عنواناً جانبياً ، يقول : « الأبعاد الحقيقية لقصة الهمجية الأوروبية ضد سكان القارة المكتشفة من خلال كتابات المهاجرين الأوائل حيث نجدها مسطورة بدماء الأهالي الأصليين » ، يقول فيليب عطية : « القصة الحقيقية للهمجية بدأت مع سياط لومبس ومعاملة بحارته الفظة لأهالي جزر البهاما الذين عوملوا كنوع من الحيوانات الآدمية ، لكن الأبعاد الحقيقية لتلك القصة لن نجدها إلا عندما ينطلق إلى أرض القارة البكر ذلك الخليط العجيب من المغامرين والجنود واللصوص لينقل إلى الهمجيين « كما يزعمون » ما أسموه بالحضارة والدين وقيمة العالم القديم ومع ذلك يظل السؤال مطروحاً عن هم الهمج الحقيقيون ؟ » .

هل حقاً كان السكان الأصليون همجاً ؟

لنأخذ شهادة « روث بندكت »^(١) عالم الأنثروبولوجي ، الذي يقول : « إن ثقافة الهنود الحمر ثقافة متكاملة تتميز بخصائصها وطابعها ومفهومها القيمي

(١) نقلا عن فيليب عطية - القصة الحقيقية للهمجية - مجلة القاهرة فبراير ١٩٨٣ .

والأخلاقي ، « وشهادة » كلود ليفي شتراوس « عن أن ضيعة واحدة تجمع بين عقلية الهنود الحمر والعقلية العلمية في صورتها الحديثة المتطورة .

الجرائم التي تعرضت لها قبائل وتجمعات وحضارات الهنود الحمر أكثر من أن تحصى ، وهي متنوعة تثبت قدرة الإنسان الأبيض على الابتكار والإبداع في عالم الجريمة والإجرام وانعدام الضمير ، وهي تمثل حزمة من الجرائم تجتمع في كلمة واحدة هي الإبادة ، وذلك بدعوى أن هؤلاء همج ، فهؤلاء الهمج يعترف لهم شيارد زفكين في كتابه « سنوات الهمجية » بأنهم كانوا أكثر أخلاقاً وتحضراً ، هذه المجتمعات الهمجية كما يقول « زفكين » كانت لها محاكمها وكانت لها أساليبها المنظمة التي فسرت بها الحياة والموت والظواهر الطبيعية ، فكان الأوكا ، مثلاً ، يمنحون النساء حق التصويت قبل أن يظهر لومبس على الشاطئ بزم من طويل ، بينما ظلت المرأة في أوروبا تعاني من الحرمان الاقتصادي والسياسي والإنساني والاجتماعي بعد اكتشاف لومبس لأمريكا بمئات السنين .

ويستمر « زفكين » في الحديث عن معالم الحضارة في تلك البقاع من تصميم مبدع لمعاطف الفرو التي تناسب الطقس ، والتي أثارت إعجاب عالم الأنثروبولوجي « فيلهالم ستفنسون » الذي عاش حياته بينهم وكتب عن معاطف الفرو أن مناسبتها للطقس القطبي لا تحتاج إلى إيضاح .

يقول فيليب عطية ^(١) : « عندما استخدم الرجل الوافد كلمات المدنية والهمجية فإن ما كان يعنيه حقاً هو أن شخصاً يعيش في هذا الوادي ، « أنا أريد أرضه ، لقد اكتشفت منجماً ذهبياً فيها » .

ونبدأ الآن مع شيارد زفكين في كتابه : « سنوات الهمجية » في قراءة طرف من

(١) نفس المرجع السابق .

الجرائم المرتكبة ، التي ارتكبتها الأبيض المتمدن في حق الهمجي « الهندي الأحمر » .
يقول زفكين :

« في حادث مسجل ، انتزع جندي أبيض طفلاً جنيئاً من رحم أمه ، قام بتعميده ثم هشم رأسه على المذبح معتقاً بإخلاص انه يسعى شخصياً لإدخاله ملكوت السموات » .

ويضيف زفكين : « تكالب البيض على النسوة الهنديات يدفع المرء للصياح في عجب عما إذا كان هؤلاء الرجال قد أتوا من أرض تخلو من النساء !! » .

« كانت شجاعة البيض تظهر في تدميرهم لحياة الهنود الحمر وأرضهم ، وحيواناتهم ومصادر ثرواتهم ، ولم تبد منهم شجاعة حقيقية حين كانوا يقعون في يد الهنود الحمر الذين نهضوا للدفاع عن أرضهم » .

« كان الأوروبيون يدمرون كل شيء دون أبسط القواعد والمحاذير ، سارت قطارات في نزعات خاصة ، تزود المسافرون فيها بالبنادق والذخيرة وأخذوا يستمتعون بقتل الجاموس البري من منصة آمنة متحركة » .

كان الجاموس البري بالنسبة للهنود الحمر في السهول هو كل شيء حيث يتغذون من لحمه ويصنعون الملابس والخيوط من جلوده وأوتاره وكؤوس الشراب من قرونيه ، ومن روثه الجاف يعدون نيرانهم الحارة دون دخان في بلد دون أخشاب لقد كان محورا لحياتهم » .

وقصة انقراض الجاموس البري تدل على مدى تدمير الإنسان الأبيض للبيئة الحيوانية ، بالإضافة طبعاً إلى تدمير البيئة الإنسانية بإبادة الهنود الحمر ، فعندما أنشئت أول مستعمرة بريطانية في فرجينيا وماساشوسيتس كان هناك حوالي ٦٠ مليوناً من هذه الثيران ، وفي حين ازدهرت الحضارة الهندية التي اعتمدت على

الثيران في القرنين السابع عشر والثامن عشر في السهول ، كان التقدم السريع تجاه الغرب للرواد في شرق أمريكا مصحوبًا بانقراض الثيران ، ففي عام ١٨١٠ لم يتبق أي ثور شرق المسيسيبي وعندما ارتحل باركمان عام ١٨٤٦ وعبر ممر الأوريغون كانت الثيران تتواجد فقط في السهول والجبال الغربية ، وكان يوجد منها حوالي ٣٠ مليونًا ، وقد بدأ الفصل الأخير في المذبحة الكبرى للثيران في منتصف القرن التاسع عشر ، ففي عام ١٨٤٦ أقر الكونجرس مد خط حديدي « الاتحاد الباسفيكي » عبر القارة مخترقًا تجمعات الثيران وبلغت عملية القتل ذروتها في أوائل عام ١٨٧٠ عندما كان يقتل أربعة ملايين ثور كل عام ، أسهم آلاف الجنود في هذه المذبحة إذ كانت تصدر إليهم الأوامر بقتل الثيران وذلك لتجويع وإبادة هنود السهول ، وقد اعتقد المسؤولون السياسيون أن عمليات إبادة الثيران وسيلة ناجحة لحرمان هنود السهول من أهم مستلزمات الحياة وبالتالي إبادتهم ^(١).

ويقول فيليب عطية عن التقديرات حول عدد الهنود الحمر الذين أبيدوا « تختلف التقديرات عن عدد الهنود الحمر عند اكتشاف أمريكا ، أقل تلك التقارير تشير إلى ٨ , ٤ مليون ، بينما تشير تقديرات أخرى إلى أرقام أعلى تصل إلى ١١٢ مليون ، وأحيانًا تصل بالعدد إلى مليارات من البشر ، ويميل العلماء إلى الأخذ بالتقديرات الأعلى امتناعًا منهم بأن الأمراض الوافدة مع الغزاة الجدد » كالجدري والحصبة والدفتيريا ، والسعال الديكي والأنفلونزا والحمى الصفراء والملاريا « وهذه الأمراض التي لم يعرفها العالم الجديد قبل غزو الرجل الأبيض تكفلت بقتل عشرات الملايين من الهنود » .

ويضيف فيليب عطية : « بعيدًا عن نظرية الأمراض الوافدة فإن الحرب الهندية

(١) فيليب عطية مرجع سابق .

من أكثر الصفحات دموية في التاريخ الأمريكي ، وهي الحرب التي بدأت فيما يعرف الآن بالولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٥٤٠ وانتهت رسميًا بعد ثلاثة قرون ونصف أي كانت نهايتها عام ١٨٩٠ ، تخللتها آلاف المذابح المروعة والمعاهدات المنقوضة من قبل الرجل الأبيض طبعًا ، انتهت تلك الحروب بتقليص عدد الهنود الحمر في الولايات المتحدة الأمريكية إلى ١,٥ مليون يعيش معظمهم في مستوطنات أو محميات طبيعية !

وعن المعاهدات المنقوضة والمتهكة والتي تدل على أخلاق البيض وحضارتهم وقيمهم ، يقول شيبارد زفكين عن تاريخ المعاهدات التي عقدها الرجل الأبيض مع الهنود الحمر « إن تاريخهم منذ عام ١٤٩٢ يرى كم الوعد المخروق تلو الوعد المخروق ، وعلى سبيل المثال :

في عام ١٧٩٣ وقع جورج واشنطن معاهدة مع قبائل السنكا ،^(١) واستخدم الرئيس واشنطن عبارة المعاهدة التقليدية ، ووعد السنكا بأن أرضهم ستظل لهم طالما ظل العشب ينمو والنهر يجري » . تلك العبارة تعني إلى الأبد ، وحيث إن معظم المعاهدات مع الهنود قد خرقت عمليا قبل توقيعها يستطيع الأمريكيون في هذه الحالة الفخر بأن « إلى الأبد » هذه تعني مصادرة أراضي السنكا ونقلهم . (كما نقلها فيليب عطية في دراسته المهمة القصة الحقيقية للهمجية) .

ويلخص الأستاذ عادل المعلم ، مترجم كتاب : ماذا يريد العم سام ، لنعم تشومسكي هذه المسألة قائلاً :

« كان النمط المتكرر في تطور علاقة المستوطنين بالهنود الحمر كالتالي :

١ - إبداء حسن النية للعيش بسلام وحفظ حقوق الهنود ، ولا مانع البتة من

(١) السنكا : هم قبائل أقصى الغرب من اتحاد الاوروكوا .

إجراء بعض المعاهدات والاتفاقيات .

٢ - بعد استقرار المستوطنين واستتباب أحوالهم يتم إقناع الهنود بالترهيب والترغيب بأن من الأفضل لهم أن يتجهوا غربا ، فالأراضي واسعة هناك ، بينما ضاقت هنا .

٣ - يتحرك الهنود للغرب بعد قليل من الهدايا والمكافآت وكثير من التهديدات ، فإذا لم يرضخوا لذلك فلا مفر من افتعال المشكلات والمعارك حتى يتحركوا أو يبادوا .

٤ - تكررت الدورة حتى وصلوا للساحل الغربي .

وإلى المزيد من الشهادات حول جرائم الرجل الأبيض كما نقلها فيليب عطية في دراسته المهمة « القصة الحقيقية للهمجية » عن عدد من الهنود والكتاب .

في الرواية التي كتبها المستكشف « ألفا كابيزا دي كافكا » يقول : « اجتزنا مقاطعات عديدة ووجدناها كلها خاوية ، هرب أهلها هائمين على وجوههم في الجبال دون أن يجرؤا على إقامة البيوت أو حرث الأرض خوفاً من المسيحيين » .

« كان المنظر مدعاة لألم لانهاضي ، أرض بالغة الخصوبة والجمال تعج بالينابيع والجدول ، القرى فيها موجودة محترقة ، الناس مهزولون ضعفاء ، الجميع هاربون أو مختبئون ، الجوع يضرب أكبادهم ، منعهم المسيحيون من الزراعة فأكلوا الجذور ولحاء الشجر ، كانوا على درجة من الضعف والجوع بحيث بدوا كما لو كانوا يرغبون في الموت طواعية ، أحضروا لنا ملابس هؤلاء الذين اختبأوا بسبب المسيحيين ، أهدوها لنا موضحين كيف اجتاحت المسيحيون في أحيان أخرى الأرض مدمرين حارقين المدن ، حاملين معهم نصف الرجال وكل النساء والأطفال ، بينما هام هؤلاء الذين استطاعوا الهرب كلاجئين » .

ويضيف دي كافكا قائلاً : « وجدناهم على درجة فظيعة من الانزعاج ؛ لأنهم لا

جرائمه أمريكا والغرب

يجرؤون على البقاء في أي مكان ، لا يقدرّون على فلاحه الأرض ، يفضلون الموت على العيش في رعب من تلك المعاملة الوحشية .

وإذا كان لدى كافكا ضمير - استثناء - فإن كل البيض بلا ضمير ، فالإنجليزي هيوبرا كنردج كتب سنة ١٧٩٠ مبرراً للغزو والإبادة بقوله : « ما الفائدة التي يفيدونها للأرض هؤلاء المواشي المزينون بالأقراط والريش والبقع واللطع ، إنهم حيوانات مسماة ابتداءً هنوداً » .

كانت تلك بعض قطرات من بحر الألم الذي عاني منه الهنود الحمر الذين فقدوا اسمهم وحملوا لقباً أطلقه عليهم خطأ المكتشف الأول كريستوفر كولومبس حينما ظن أنه وصل إلى الهند ، ماذا بقي منهم الآن ؟ ، وهل ما بقي هو نوع من الشهادة الحية الباقية لتلهب الضمير العالمي ، أو لتذكر باستمرار الجريمة الكبرى التي ارتكبتها الرجل الأبيض ؟

بقي منهم ١,٥ مليون يعيشون في مستوطنات أو معازل أو كأفراد هائمين ، ولا يتمتعون في بلد الديموقراطية والرفاهية بالمستوى اللائق من العيش ، فنصف سكان المستوطنات من الهنود الحمر لا يتخرجون في المدرسة الثانوية ونسبة البطالة تزيد على ٤٠ ٪ بينهم ، ونسبة الوفيات مرتفعة والحالة الصحية سيئة ، كما يعترف بذلك فاين ديوريا أحد المتعاطفين مع الحركة الهندية الأمريكية ، وكذلك فإن معدل الجريمة مرتفع بينهم ، ويدمنون الكحوليات ، فالهندي الذي يهرب من فقر المستوطنة لا يجد أمامه غير الفقر في المدن لافتقاره إلى المهارات الأساسية التي تتيح له فرص العمل^(١) .

(١) فيليب عطية - مرجع سابق .

oboiikan.com

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

أمريكا تبني
رخاءها من خلال جريمة
«استرقاق السود»



oboiikan.com

جرائم أمريكا والغرب

قامت أمريكا من خلال جريمة كاملة هي جريمة إبادة شعب البلاد الأصلي « الهنود الحمر » ، ثم قامت باستجلاب^(١) حوالي ٢٠ مليونًا من الزوج « الأفارقة السود » ؛ لكي تسترقهم وتستعبد لهم للعمل في المزارع والمصانع ، وهكذا فإن أمريكا سرقت الأرض ، وقتلت أصحابها ، ثم أتت بالعبيد لاستثمارها وتحقيق الرخاء للإنسان الأبيض الذي يتمتع بكل الجاه والثروة والنعيم .

ويصل عدد سكان أمريكا الآن إلى ٢٧٠ مليونًا ، ٧٤٪ بيض ، ١٢٪ سود ، ١٠٪ من أصول إسبانية ، و ٣٪ من أصول آسيوية ، ١٪ هنود حمر وسكان ألاسكا .
وبرغم كل حركات الاحتجاج والحروب الأهلية والقوانين ، لا تزال التفرقة لعنصرية تضرب الوجدان الأمريكي بقسوة .

لماذا أحضر الرجل الأبيض هؤلاء العبيد من أفريقيا ؟ لماذا تجشم مهمة إحضارهم ، أي خطفهم من بلادهم ، ثم ربطهم في سلاسل وتكديسهم في السفن ، ثم حراستهم ثم رحلة طويلة مكلفة حتى أمريكا ؟ في حين أنه أباد الشعب الأصلي « الهنود الحمر » ، لماذا لم يحاول استرقاق الهنود الحمر مثلاً بالقوة ، وكان قادراً على ذلك ، ويوفر على نفسه كل هذا العناء ؟

وللإجابة عن هذا السؤال ، نستدعي الذكاء الشديد للرجل الأبيض ؛ لأنه كان يريد طمس معالم الجريمة - جريمة الإبادة ، ولا يريد أن يبقى من السكان الأصليين أحد ليطالبه ذات يوم بالرحيل أو ينظم نفسه في حركات ثورية تطالبه بالخروج وترك البلاد لأهلها ؛ إنه كان ينظر إلى المستقبل ، فإذا ظل الهنود عدداً كبيراً ، كان من الممكن أن تدلج بينهم حركات لتنظيم صفوفهم وبدء حركة تحرر وطني ، فكان لابد من القضاء

(١) استجلب الأمريكيون حوالي ٢٠ مليون زنجي ، مات منهم في الطريق بسبب نقص التغذية والجوع وسوء الأحوال والتمرد ٩٠٪ ولم يصل إلا ٢ مليون فقط .

على السكان الأصليين ، حتى تصبح الأرض بلا صاحب شرعي ، فيصبح الرجل الأبيض هو المصاحب الشرعي لتلك الأرض ، وهكذا كانت الإبادة ؟

ولأن الرجل الأبيض - وفقاً لثقافته وحضارته - لا يستطيع العيش إلا على العنف والنهب والعنصرية ، فإنه راح يستجلب العبيد من أفريقيا ليسترقهم ويأكل عرقهم ويسخرهم في تلك الآلة الجهنمية من الاقتصاد الذي راح يديره الرجل الأبيض ليعيش هو في رخاء ورفاهية على حساب الشعب الأصبي الذي أبيد ، وعلى عرق العبيد المجلوبين من أفريقيا .

كانت أوروبا في ذلك الوقت قد بدأت عصر الفتوحات والغزو والتمرد والنهب فيما سمي بعصر الاستعمار وسباق الإعلام ، كانت الدول الأوروبية تتسابق إلى احتلال بلدان آسيا وأفريقيا لنهب ثرواتها وتستغلها ، ومارست الدول الأوروبية كل الجرائم أيضاً ، وهذا شأن الرجل الأبيض دائماً من قتل وذبح وقسوة ووحشية ، ونهبت ثروات البلاد المحتلة والمستعمرة ، ولكنها أيضاً ابتدعت أسلوباً جديداً لاسترقاق سواعد أهالي البلاد الأصليين إذ لا يكفي نهب ثرواتهم ، بل يجب أيضاً نهب سواعدهم ، وهكذا بدأت صفحة من أخط الصفحات في تاريخ البشرية ، صفحة استرقاق العبيد ، كان السيد الأوروبي يذهب إلى أفريقيا تحديداً ليصطاد .. لا يصطاد الغزال مثلاً ، بل يصطاد الإنسان ويتزعه من بين أهله وعشيرته ووطنه وأرضه ، ويذهب به بعيداً . كان السيد الأبيض يختار لصيده هدفاً محدداً هو الأسود الشاب ؛ الأسود القوي ، وإذا عرفنا أنه تم اصطياد عشرات الملايين « يقدرهم البعض بـ ٢٠٠ مليون أسود » في وقت كان سكان أوروبا كلها لا يصلون إلى ربع هذا العدد لأمكننا أن نقول : إنه تم تجريد القارة السمراء من قوتها وسواعدها ، لأنه لم يبق إلا النساء والأطفال والعجائز ؛ وكان هذا سبباً مباشراً في تخلف تلك القارة ،

أي أن جريمة التخلف والمعاناة التي لا تزال تعيشها القارة الأفريقية هي نتيجة طبيعية لتلك المأساة ، وبالتالي فجريمة الأوروبيين لا تزال ذات أثر حتى الآن !!

هؤلاء الضحايا الذين اصطادهم الأوروبيون ونزعوهم بلا رحمة من بين ذويهم ، كانوا يربطون في السلاسل ويتم تحميلهم على السفن ، فيموت منهم من يموت بسبب الجوع أو سوء التغذية أو تفشي الأمراض أو حتى التمرد ، كان لا يصل منهم سوى ١٠٪ فقط ، أما الباقون فكانوا يموتون ، وهذا شيء لا يهم الرجل الأبيض ، فالأسود أو غير الأبيض عموماً عليه أن يموت ويجوع ويعاني من أجل رفاهية الرجل الأبيض .

كانت الثروات المنهوبة من المستعمرات ، والسواعد المستترقة هي التي حققت لأوروبا نهضتها الصناعية ، فالثورة الصناعية ، ثم الرأسمالية لم تنشأ إلا من خلال الاستعمار ، وليس العكس كما يروج بعض المفكرين اليساريين ضيقو الأفق ، فلم تكن الرأسمالية هي التي دفعت الدول الأوروبية للاستعمار بحثاً عن الأسواق كما يقولون ، بل كانت ثروات المستعمرات وسواعد العبيد هي التي خلقت الثروة ، وبالتالي حققت تراكمها رأسمالياً أدى إلى ظهور الرأسمالية والثورة الصناعية ، ولم يكن غريباً أن البنوك الكبرى وهي عصب الرأسمالية قد نشأت على مقاهي أرصفة الموانئ ، حيث كان التجار هناك يمولون شراء العبيد وصفقات الخامات المجلوبة من المستعمرات .

وكان لأمريكا الجديدة نصيبها من تلك الجريمة ، كيف لا ، وهي ابنة بارة للحضارة الأوروبية ، وهكذا تم نقل عدد من العبيد يقدر بـ ٢٠ مليوناً وصلوا سالمين ، ناهيك عن الذين ماتوا في الطريق ، هؤلاء العبيد السود المسترقون والمنتزعون قسراً من بين ذويهم ، كانوا هم عمدة زراعة القطن ، والزراعة عموماً ، ثم صناعات النسيج وغيرها ، هؤلاء هم الذين صنعوا الثروة الأمريكية وبدونهم ما كان يمكن للأمريكيين أن يستغلوا تلك المساحات الشاسعة من الأرض ، ولا أن يزرعوا

ويصنعوا . إنهم عمال بلا ثمن ، اللهم إلا قوتهم ، وهذا أيضاً في ضيق الحدود .

كان الرخاء الذي تحقق للسلادة البيض من عرق العبيد هو السبب في نهضة أمريكا ، وهكذا فإن أمريكا قامت من خلال جريمة « إبادة الهنود الحمر » ونهضت بجريمة أخرى وهي « استرقاق السود » .

وقد دفع السود ثمن هذا الرخاء ، فالعمل متواصل بلا رحمة تحت وطأة سوط السيد الأبيض ، ومن يتوان عن العمل أو يصبح غير قادر ، فالموت جوعاً أو الموت برصاصة من مسدس السيد ، وكل شيء ملك للسيد الأبيض : المزرعة والزواج نساء ورجالاً وأطفالاً ، يضرب هذا ويستخدم هذا ، ويعتدي على هذه السيدة أو تلك بل أحياناً يراهن على نوع الجنين في بطن سيدة سوداء مع سيد أبيض آخر ، ويتم بقر بطن السيدة السوداء بلا رحمة لمعرفة نوع الجنين ، فيكسب هذا السيد أو ذاك الرهان ، وتختسر الأم حياتها وحياة الجنين .

وتسجل رواية « جذور » لأليكس هيلي جزءاً من ذلك التاريخ الدامي لمعاملة الزوج في أمريكا ، وقد يقول البعض : إن ذلك كان قبل الحرب الأهلية الأمريكية ، ولكن الحقيقة أن تلك الحرب لم تكن لتحرير العبيد ، بل كانت تطورا في الأداة الاقتصادية الأمريكية يستدعي إبطال نمط السخرة القائمة باتجاه نمط العمل المأجور « تطور في شكل علاقات الإنتاج » .

ولعل ما يؤكد هذا ما كتبه نيفنز كوماجر في كتابه « موجز تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية » الذي ترجمته دار المعارف عام ١٩٨٣ حيث يقول :

« تبين للزوج أنهم ليسوا أحراراً فعلاً ، وإن كانوا أحراراً قانوناً ، فإن الكونجرس الذي سن تشريعات تحريرهم ، سرعان ما تركهم لسادتهم السابقين ولم يفعل شيئاً ، وكان السود أشبه بلاجئين في بلاد عاثت فيها الحرب خراباً ، ولا

مغالة في القول بأن عدد العائلات التي تفككت كان في العام الأول للحرية أكثر منه في أي عام من أعوام الرق ، لقد مات الآلاف منهم بالمرض والجوع ، أو راحوا ضحايا للعنف ولم يحاولوا الإدلاء بأصواتهم في الانتخابات ، أو أن يرسلوا أطفالهم إلى مدارس البيض ، أو أن يتجاوزوا حدودهم الاجتماعية ، لأنهم سرعان ما كانوا يتلقون درسًا قاسيًا إذ حاولوا » .

وهكذا فإنه حتى اليوم لا تزال التفرقة العنصرية في المدارس والجامعات والوظائف والشوارع هي السمة السائدة في الواقع رغم صدور القوانين التي تُحرم ذلك ؛ لأن الوجدان العنصري لدى الرجل الأبيض أقوى من كل القوانين ، ولا تزال أكثرية السود حتى الآن ممنوعة من دخول عدد من مدارس البيض ، أو حتى لمرور في شوارع معينة ، وأكثرية المسجونين من السود ، وتتفشى البطالة في صفوف لسود أكثر ، ومستوى تعليمهم أقل ، ولعل خير دليل على ذلك استمرار حركات النضال الأسود ضد التفرقة العنصرية ، فبديهي أن أحداً لن يناضل ضد شيء غير موجود .

وفي الأعوام الأخيرة ، فقط سجلت الأحداث حالات مشهورة للتفرقة العنصرية ، اكتسبت شهرة عالمية بسبب اهتمام الصحافة والتلفزيون بها ، وهي حادثة اعتداء أربعة من رجال الشرط البيض بالضرب بالسوط على زنجي في لوس أنجلوس ولولا تصوير الحادثة بالفيديو مصادفة وثورة السود واندلاع أعمال عنف في المدينة بسبب ذلك لما اهتم أحد بالموضوع ، وكذلك محاكمة لاعب الكرة المعروف « سمبسون » ، الذي اتهم بقتل زوجته وتعرض للتفرقة في القضاء بسبب لونه !

وبديهي أن هناك مئات أو ربما آلاف الحالات من الانتهاك العنصري التي لم يهتم بها أحد على غرار هاتين الحادثتين .

oboiikan.com

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

هل تصلح

أمريكا لقيادة العالم؟



oboiikan.com

جرائر أمريكا والغرب

نفسها كقيادة للعالم ، واعتبرت أن هذه هي فرصتها ، وأنه يجب أن يكون القرن الواحد والعشرون قرناً أمريكياً ، وأمريكا لم تقدم نفسها كقيادة عسكرية للعالم فقط ، بل تريد أن تقدم نفسها كقيادة سياسية واقتصادية بل وقيمة وحضارية للعالم ، أو بكلمة أخرى تريد الهيمنة على العالم في كل شيء بدءاً من النفوذ العسكري ، مروراً بالنفوذ الاقتصادي والسياسي وانتهاء بالنفوذ الثقافي .

وأمريكا التي تريد الانفراد بالقيادة في العالم الجديد أو النظام العالمي الجديد كما يحلو لها أن تسميه لابد أن تستخدم في هذا الصدد «الجزرة والعصا» ، فهي ترسم نفسها صورة وردية ، ويرسم لها المؤيدون أو التابعون أو المأجورون صورة زاهية . قيماً رفيعة ، فهي ذات مسئولية عالمية ، ومدافعة عن الحرية ، وتريد عالماً بلا حروب ، وتريد مساعدة العالم كله من أجل الرخاء والحرية .

وبالطبع تقدم قيمها السياسية كما لو كانت أفضل القيم ، فالتاريخ قد انتهى وأثبت صحة اقتصاد السوق ، والليبرالية الرأسمالية ، والنزعة الفردية وهكذا .

ومن ناحية أخرى فإنها تلوح بالعصا الغليظة لمن لا يريد الخضوع لهذا النظام العالمي الجديد أو الهيمنة الأمريكية ، وتهدد بأنها سوف تضرب بقسوة كل من ينحدر جبروتها سواء كان من الأعداء أو الأصدقاء على حد سواء^(١) يقول بريجنسكي :

« إن أفول نجم الاتحاد السوفيتي معناه تفرد الولايات المتحدة بمركز الدولة العظمى ذات المسئولية العالمية » .

ويشرح نيكسون في كتابه المهم : « انتهزوا هذه الفرصة » ملامح تلك القيادة

() تعمدت أمريكا أن تسرب تقريراً استراتيجياً أمريكياً تعاونت في وضعه مختلف الأجهزة الأمريكية ، حذرت فيه أية دولة أو قوة غير أمريكية من مغبة منازعة أمريكا في هيمنتها العالمية .

الأمريكية مقدما لها صورة وردية بالطبع .

يقول نيكسون :

سيعلم الجميع أنه بدون الولايات المتحدة الأمريكية فلن يكون هناك سلام أو حرية في العالم أجمع سواء في الماضي أو في الحاضر أو في المستقبل .

« يجب أن نضطلع بدور أساسي في قيادة العالم لكي نجعله في وضع أفضل مما هو عليه الآن ، وليس لمجرد المحافظة على وضعه كما هو ، يجب أن نعيد الثقة في عقيدتنا ، وفي مثلنا ، وفي قدرنا ، وفي أنفسنا ، نحن موجودون لنصنع التاريخ ، ونفتح آفاقاً جديدة للمستقبل . »

« ليس هناك مكان أروع إثارة يمكن أن تعيش فيه ولا أرقى منه إلا أمريكا ، لقد ظل الناس على مدى قرون طويلة يحلمون بالسلام والحرية والتقدم في العالم أجمع ، ولم نكن في يوم من الأيام أقرب إلى تحقيق هذه الآمال من يومنا هذا . »

« إن علينا حمل عبء قيادة العالم ، لأننا شعب عريق ، لقد عشنا في حقبة من الزمن لم يتيسر لشعب آخر أن يعيش فيها ، وله ما لنا منميزات ولن يتيسر لغيرنا في المستقبل - على الأرجح - أن يمر بها ، علينا أن ننتهز الفرصة ليس فقط لأنفسنا ولكن أيضاً لغيرنا . »

« تمثل أمريكا ثلاث قيم لها أهمية كبرى هي :

الحرية ، الفرصة المتاحة ، احترام الإنسان لذاته . »

« إن الولايات المتحدة الأمريكية تستطيع أن تقوم بدور القيادة في العالم وعلى العالم أن يتبع خطانا . »

« لا تستطيع أي دولة سوى الولايات المتحدة أن تقوم بدور القيادة في العالم ، ربما تستطيع إحدى الدول أن تحل محلنا من الناحية العسكرية .. وقد يصل البعض

جرائم أمريكا والغرب

إلى ما وصلنا إليه اقتصادياً ، ولكن ليس هناك إلا الولايات المتحدة التي تملك القوى العسكرية والسياسية والاقتصادية لتقود العالم في طريق الحرية ، ومقاومة الاعتداء والأهم من ذلك أن تأثيرنا لا ينبع فقط من القوتين لعسكرية والاقتصادية ولكن ينبع أيضاً من الإعجاب بمبادئنا ومثلنا ، ونحن البلد الوحيد في العالم الذي رفع اسمه بقوة مبادئه وليس بقوة سلاحه « أ.هـ ..

إذن أمريكا تقدم نفسها للعالم ولكن أيضاً لأنها تحمل قيماً عظيمة ، وينبغي على العالم أجمع أن يدخل في هذه القيم وأن يتخلى الجميع عن قيمهم الحضارية الذاتية ، وأن يخضع وهو سعيد لقيادة أمريكا ، وإلا فإن من يرفض أو يعارض أو حتى يتململ ؛ فالويل والشبور وعظائم الأمور من نصيبه .

وفي الحقيقة فإن هذه الصورة الوردية التي تروجها أمريكا ويروجها مؤيدوها صورة منافقة وكاذبة وتفتقر إلى الحد الأدنى من الجدية ، فلا هي دولة صاحبة قيم عظيمة ولا ممارسات عظيمة ولا هي دولة بهذه القوة التي يتحدثون عنها .

والصورة الحقيقية ، لأمريكا ، تقول: « إن أمريكا ذاتها نشأت من خلال جريمة كبرى وهي إبادة شعب « الهنود الحمر » واستلاب أرضه والعيش فيها رغم أنفه وعلى حسابه « أباد المهاجرون الأمريكيون أكثر من مائة مليون من الهنود الحمر وهو رقم كبير بحساب وقت تنفيذه ... أي أن كل مهاجر أباد أربعة من الهنود الحمر وبالتالي فقد عاش على جماجم أربعة من البشر » .

وهؤلاء الذين أنشأوا أمريكا أو سلبوها من أهلها كانوا من حشالات المهاجرين والمغامرين والأفاكين الأوروبيين ، وهؤلاء بدورهم أبادوا الهنود الحمر ، ثم استقدموا الرقيق الأفريقي ليسخروه في بناء أمريكا ، أي أن أمريكا قامت على النهب والإبادة والعنصرية . والتفرقة العنصرية التي عاشت أمريكا فترة طويلة من

جرائم أمريكا والغرب

تاريخها القصير تمارسها بصورة رسمية لا تزال موجودة ومتغلغلة في الوجدان الأمريكي ولا تزال آثارها ملموسة حتى الآن في كل مكان بأمريكا ، فأي عالم إذن يمكن أن نتوقعه تحت قيادة أمة نشأت على النهب والإبادة والعنصرية ؟ !!

إن الأمة الأمريكية تمثل كل القيم البشعة للحضارة الغربية ، تلك الحضارة التي قامت على نهب الشعوب واسترقاقها وأذاقت كل البشرية الويلات خلال فترة الاستعمار ولا تزال ، وما دامت الأمة الأمريكية جزءاً من الحضارة الغربية فهي تمتلك كل مقوماتها الحضارية وهي : العنف والقهر والنهب والعنصرية ، بل إنه يمكن القول : إن الأمة الأمريكية هي أسوأ التطورات في الحضارة الغربية لأنها نشأت من حثالة البشر في تلك الحضارة الغربية ولأنها نشأت من خلال جريمة «إبادة الهنود الحمر سكان أمريكا الأصليين» .

إن سجل الجرائم الأمريكية مكتظ ومفعم ، فأمريكا التي تدعي أنها رفعت اسمها من خلال المبادئ ، وليس من خلال القوة ، هي نفسها التي قامت بهذه المجموعة الكبيرة من الجرائم وهي كالتالي :

- إبادة شعب أمريكا الأصلي « الهنود الحمر » .
- استرقاق السود وتسخيرهم في بناء أمريكا .
- غزو نيكاراغوا سنة ١٨٨٣ .
- الهجوم على بيرو ١٨٣٥ .
- اقتطاع أرض مكسيكية هي ولاية تكساس حالياً (من سنة ١٨٤٦ - ١٨٤٨) بالإضافة إلى كاليفورنيا ونيومكسيكو .
- تدمير ميناء جراي تاون في نيكاراغوا - غزو أروجووي - غزو قناة بنما (١٨٥٤) .

- غزو كل من نيكاراغوا ، كولومبيا عدة مرات منذ ١٨٥٧ - ١٨٩٩ .
- التدخل في هايتي ١٨٨٨ .
- التدخل في تشيلي ١٨٩١ .
- غزو كوبا واقتطاع قاعدة بحرية في خليج جوانتا نامو (١٨٩٨ - ١٩٠١) .
- غزو كولومبيا ١٩٠١ - ١٩٠٢ .
- غزو هندوراس ١٩٠٢ .
- التدخل في كوبا ١٩٠٦ .
- الاستيلاء على ست مدن في هندوراس ١٩٠٧ .
- سرقة البنك المركزي في هايتي عن طريق إنزال المارينز الأمريكيين في هايتي سنة ١٩١٤ .
- قصف فيركروز ١٩١٤ .
- دخول هايتي مرة أخرى ١٩١٥ .
- دخول المكسيك ١٩١٦ وفي العام نفسه دخلت القوات الأمريكية ألدومنيكان وسيطرت عليها بحكومة عسكرية حتى ١٩٢٤ .
- التدخل في السلفادور سنة ١٩٣٢ .
- الإطاحة بحكومة جواتيمالا ١٩٥٤ .
- عملية خليج الخنازير في كوبا ١٩٦١ .
- حصار كوبا جوا وبحرا ١٩٦٢ .
- التدخل العسكري في فيتنام وكوريا لمدة طويلة وكذلك كمبوديا ولاوس وتايلاند .
- مساعدة المخابرات الأمريكية في قتل جيفارا في بوليفيا ١٩٦٧ .

- عملية غزو بنما وجرينادا والتدخل في السلفادور (١٩٨٣ - ١٩٩٠).

أما ما خص العرب منها :

- دعم قيام إسرائيل والاعتراف بها ١٩٤٨ ، ثم تقديم عشرات المليارات إلى إسرائيل لدعمها فضلاً عن السلاح والمعلومات الاستخبارية وغيرها حتى اليوم .
- التدخل العسكري في لبنان ١٩٨٣ .
- ضرب ليبيا ١٩٨٦ .
- اختطاف الطائرة المصرية إبان حادثة السفينة أكيلي لاورو ١٩٨٦ .
- إسقاط طائرة الركاب الإيرانية المدنية فوق مياه الخليج ١٩٨٨ .
- تدمير العراق والكويت ١٩٩٠ .
- ضرب السودان وأفغانستان ١٩٩٨ .

وهذا بالطبع مجرد عينات من التدخلات العسكرية الأمريكية ، لأن السجل أكثر من أن يحصى .

وحتى بعد أن انهار الاتحاد السوفيتي وانفراد أمريكا بالعالم وتبشيرها بما يسمى بالنظام العالمي الجديد ، فإن أول ممارساتها معنا كان ازدواج المعايير تمامًا ، فعلى حين تحمست لتنفيذ قرارات مجلس الأمن فيما يخص العراق فإنها تقدست تمامًا فيما يخص إسرائيل ، وفي حين تعمل أمريكا على نزع سلاح العرب من أي نوع فإنها تترك لإسرائيل كل الحرية في الحصول على السلاح بما فيه السلاح النووي^(١) .

ولعل ازدواج المعايير يتضح بصورة هائلة في تزعم أمريكا للحملة على ليبيا بشأن

(١) من المعروف أن أمريكا تصر على حرمان أي دولة عربية أو إسلامية من الحصول على أي تقنية نووية خاصة العراق ، ليبيا ، مصر ، الجزائر ، سوريا ، إيران ، باكستان .

جرائم أمريكا والغرب

اتهمها بتدمير طائرتين إحداهما فرنسية والأخرى أمريكية وقامت باستصدار قرارات من مجلس الأمن بهذا الشأن في حين أنها تتجاهل إسقاطها لطائرة مدنية إيرانية فوق مياه الخليج سنة ١٩٨٨ ، وكذلك إسقاط إسرائيل لطائرة مدنية ليبية عام ١٩٧٣ وهي الطائرة التي كانت تحمل المذيعة المصرية المعروفة « سلوى حجازي » . وعلى الرغم من أن أمريكا تملأ الدنيا صياحًا حول حقوق الإنسان فإنها تتجاهل تمامًا حقوق الإنسان الفلسطيني المنتهكة على يد قوات الاحتلال الصهيوني .

وإذا كانت الصورة الوردية التي ترسمها أمريكا لنفسها أو يرسمها لها مؤيدوها صورة كاذبة ومنافقة وغير حقيقية ، فإن الصورة الأخرى التي تكمل بها أمريكا ومؤيدوها حصارها حول العالم وهي صورة أمريكا القوية القادرة التي لا تستطيع قوة أخرى تحديها هي أيضاً صورة مبالغ فيها لإيقاع الرعب في نفوس الآخرين ، وأن الصورة الحقيقية لأمريكا ليست بهذه القوة ولا بهذه القدرة ويمكن بالصمود والمواجهة أن يبعوامل الضعف الداخلية الأمريكية أن تسقط هذه القوة بأسرع مما تتصور .

إن الحقائق المعروفة والمنشورة تقول: إن أمريكا أكبر بلد مدين في العالم حالياً ، وميزان مدفوعاتها يعاني عجزاً هائلاً ، وميزانها التجاري مع بلد مثل اليابان شديد الاختلال لصالح اليابان ، وأن كثيراً من الصناعات والمؤسسات الصناعية الأمريكية ، إما أفلست أو على وشك الإفلاس وأن البطالة تتفشى في أمريكا ، وأن الإيدز والمخدرات وضعف مستوى التحصيل الدراسي والفرقة العنصرية يؤكد بقوة ونشاط على انهيار أمريكي قريب .

ونيكسون نفسه في كتابه الأخير « الفرصة السانحة » يعترف ببعض هذه الحقائق .. يقول نيكسون : « وما لم تقم الدولة بتطوير سياسة التعليم لتخريج علماء وباحثين من شباب الأمريكيين ، فسوف نفقد تقدمنا الصناعي والتكنولوجي ،

وأمریکا بها أكثر من ٢٥ ٪ لم يحصلوا على شهادة إتمام الدراسة الثانوية ، وكثير من الذين حصلوا عليها يفتقدون المهارات اللازمة ليندمجوا في المجتمعات الحديثة ، أما فيما يختص بالعلوم والرياضيات ؛ فشبابنا يأتي في ذيل القائمة التي تضم الدول الصناعية ولو أن لنا قليلاً من المدارس العامة على مستوى جيد ، إلا أن أغلبها أقل من مستوى الدول المتخلفة ، وقد انحدر مستوى أغلب المدارس وأصبح الطلبة لا يشعرون بالرغبة في الدراسة بحماس ، ويقضون ساعة أو أقل في الدراسة بالمنزل وثلاث ساعات أو أكثر أمام التلفزيون يشاهدون برامج تافهة يوميا ، إن أمريكا ينحدر مستواها في التعليم شيئاً فشيئاً خصوصاً فيما يخص العلوم والتكنولوجيا .

وفما يخص الاقتصاد يعترف نيكسون قائلاً : « حدث انخفاض في رأس المال في الصناعة مماثل لما حدث في رأس المال البشري في التعليم ، إن الادعاء بأن النقص في الميزانية الفيدرالية لا يهم غير صحيح . إن نقصاً يعادل ٥ ٪ في مجموع الإنتاج القومي يوضح اتجاهها معينا للاقتصاد ، ولما كان العجز يعاد تمويله من المدخرات الشخصية والاستثمارات الأجنبية ؛ فإن استنزاف هذه المدخرات في قروض صغيرة الأجل لابد من استثمارها في مشاريع طويلة الأجل يجعله كالمياه التي تنخر في القواعد التي يقوم عليها الاقتصاد » .

ويقول نيكسون : « إن أمريكا لديها مشاكل عويصة في الداخل ، فهناك ٣٨ مليوناً من سكانها لا يتمتعون بالرعاية الصحية ؛ لأنهم لا يستطيعون دفع اشتراكاتها ، واستهلاك المخدرات في أمريكا أكثر من استهلاك دول العالم مجتمعة رغم أنها تأتي في المرتبة العشرين من حيث تعداد السكان ، وفي أمريكا أكبر معدل لارتكاب الجرائم في العالم والأشعار فيها في تزايد مستمر بحيث جعلوا مدننا الكبيرة غير آمنة » .

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

أمريكا
هي الإرهابي
الأكبر في التاريخ



oboiikan.com

إذا اتفقنا بداية على أن العنف بلا مبرر أخلاقي ، أي إذا لم يكن لدفع عدوان أو تحرير أرض أو حفاظ على عرض أو رفع للاستكبار والظلم فهو أمر غير مبرر ومرفوض ، وأن تطبيق هذا المعيار يعطي نتيجة مباشرة ، وهي أن أمريكا الأصلي على يد المهاجرين الأوروبيين والذي يقدره البعض بحوالي ١١٢ مليوناً ، ومروراً بجريمة استرقاق السود واستعبادهم في الآلة الإنتاجية الأمريكية وانتهاء بقيام أمريكا بالعدوان المستمر والدائم على عدد كبير من الدول ، فإن أمريكا وفقاً لبنيتها لقيمها والثقافية ووفقاً لسلوكها العملي هي صانعة الإرهاب في العالم حالياً ، فالكونجرس الأمريكي مثلاً أصدر أكثر من ٦٠ قانوناً لمعاقبة الدول التي لا تنصاع للسياسة الأمريكية ، أليس هذا إرهاباً وتدخلًا في الشؤون الداخلية للدولة الأخرى؟ وهل تحدد - أمريكا - وبأي حق قانوني أو أخلاقي - سياسات الدول الأخرى ، خاصة أن الكونجرس سمح للحكومة الأمريكية في هذا الصدد باستخدام سلاح العقوبات الاقتصادية أو التدخل العسكري لتحقيق ذلك؟ ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية أنفقت الولايات المتحدة الأمريكية على أعمالها غير الأخلاقية من اغتيال زعماء وتدمير انقلابات وتزييف انتخابات في البلدان الأخرى وتشويه سمعة قادة ومفكرين .. الخ . ما يقدر بحوالي ٩٥٠ مليار دولار ، وهو رقم ثان يكفي للنهوض بقارة أفريقيا مثلاً !! .

وفي هذا الصدد ترصد الدراسات أن أمريكا حاولت قلب نظام الحكم في ١٢٧ دولة ، وحاولت اغتيال ٥٤ زعيماً وطنياً في العالم الثالث ، وأشعلت الحرب الأهلية في ٨٥ دولة ، وتقول بيانات وزارة الدفاع الأمريكية « البتاجون » : إن أمريكا شاركت في ١٧ عملية في الشرق الأوسط منذ عام ١٩٨٠ حتى عام ١٩٨٥ ، منها قتل ٢٠٠ ألف عراقي سواء في العمليات العسكرية أو بعدها ، وإشعال الحرب

الكردية ، وتجميع ملايين الأطفال والنساء في العراق ^(١) ، ومنها إبادة ١٠ آلاف صومالي على يد مشاة البحرية الأمريكية .

وداخل المجتمع الأمريكي نفسه ، فإن الإرهاب والعنف والعنصرية هي السمة الرئيسة لذلك المجتمع ، فالمجتمع أصلاً قائم على العنف والإبادة والبراجماتية ، والأمريكي يتعرض في حياته لإطلاق الرصاص عليه عدة مرات بسبب العنف المنتشر بين أوساط الأمريكيين ، بل وصل العنف أيضاً إلى صبية المدارس الذين يمارسون القتل العشوائي كهواية ، وتقول الإحصائيات إنه في عام ١٩٩١ مثلاً تم اغتيال ٣٨٣١٧ شخصاً في أمريكا بواسطة الأسلحة النارية ، نهيك عن المجازر الجماعية العشوائية ، وفي ولاية شيكاغو مثلاً يكلف قتل الفرد حوالي ٣٥ دولاراً أما تكاليف حمايته وإنقاذه فتصل إلى ٢٠٠ ألف دولار ، وفي عام ١٩٩٤ مثلاً وصل عدد المسجونين في أمريكا إلى أكثر من مليون شخص وهو أعلى معدل مساجين في العالم ، ويقدر البعض عدد الأسلحة النارية المملوكة للأفراد في أمريكا بحوالي ٢١١ مليون قطعة سلاح ، وأمريكا هي دولة العنف المجنون ، فهي خاضعة لثقافة العنف والمسدس ، وفي دراسة أجرتها وزارة التعليم الأمريكية في المدارس الرسمية « ١٢٠٠ مدرسة جرى إحصاء بها شهدت ١١ ألف حالة اعتداء بالأسلحة و ٧ آلاف سرقة وأربعة آلاف حالة اغتصاب واعتداء جنسي في عام ١٩٩٧ ، مع العلم أن ٤٣ ٪ من هذه المدارس لم تبلغ عن كثير من الحوادث التي وقعت بها ! ، وتنتشر في المدارس أيضاً ظاهرة تعاطي بل الاتجار في المخدرات ، وتعد حادثة مدينة جونزبراه نموذجاً مهماً لهذا الأمر حيث قام طفلان أحدهما عمره ١١ سنة والآخر عمره ١٣ سنة بشن هجوم على المدرسة التي يدرسان فيها وقتلا ٤ طلاب ومعلمة

(١) بصرف النظر عن الموقف من صدام حسين .

جرائم أمريكا والغرب

بالرشاشات والمسدسات ، ونشرت صحيفة النيوزويك إحصائية عن عدد الأطفال الذين قتلوا في معارك بالسلح مع زملائهم عام ١٩٩٤ فكانوا ١٥١ طفلاً ، والملاحظة الجديرة بالتسجيل هنا ، أن العنف ينتشر بين أبناء الطبقة الوسطى الذين يعيشون في رخاء ويمتلكون سيارات « وكومبيترات » ويتعلمون في مدارس خاصة .

وبالنسبة للميليشيات المسلحة فإن هناك ٣٥٠ ميليشياً لها هياكلها المسلحة ، ويتراوح أعضاؤها بين ٥٠ إلى ١٥٠ ألف عضو ويصل إنفاقها السنوي إلى ١٠٠ مليون دولار ، وإحدى هذه الميليشيات المسلحة في المناطق الريفية ولها ٢٥٠ موقعاً على الإنترنت .



oboi.kan.com

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

المؤامرة الأمريكية
على مصر



oboiikan.com

الدول والشعوب التي تعارض سياستها ، ولكن الحقيقة أنها أيضاً تتآمر على دول وحكومات من المفروض أنها من أصدقائها ، وخير مثال على ذلك المؤامرة الأمريكية على مصر ، ويرجع ذلك بالطبع إلى أسباب كثيرة ، منها أن أمريكا لا تعرف ما يسمى بالصدقة ، فهي تريد أتباعاً فقط ، وحتى هؤلاء الأتباع يمكن أن تتآمر عليهم أيضاً ، ومصر مثلاً تمثل عمقاً عربياً وإسلامياً وثقلاً سكانياً وجغرافياً واستراتيجياً ، ولذلك فلا بد أن تكون ضعيفة مفككة لا حول لها ولا قوة ، حتى لا تكون رقماً مهماً في المعادلة الإقليمية ، ولأن مصر القوية يمكن أن تشكل نواة لمحور عربي إسلامي فإن القضاء على هذه النواة هدف أمريكي وإسرائيلي ثابت ، وكذلك تريد الولايات المتحدة الأمريكية أن تجعل من إسرائيل القوة الوحيدة المسيطرة في المنطقة ، ولابد من حصار مصر وعزلها أو حتى تفكيكها لتحقيق هذا الهدف . وهكذا ، فإنه لأسباب إسلامية وتاريخية وجغرافية واستراتيجية ؛ فإن مصر مستهدفة لمؤامرة أمريكية إسرائيلية مستمرة .

ويتجلى ذلك في عدد من النقاط منها :

- منع مصر من الحصول أو القدرة على إنتاج سلاح متقدم ، والضغط عليها سياسياً واقتصادياً للحيلولة دون دخولها إلى النادي النووي أو حتى إنتاج أسلحة كيميائية أو جرثومية لمعادلة التفوق النووي الإسرائيلي ، وتقوم الولايات المتحدة باستمرار بإثارة موضوع إنتاج مصر - وغيرها من الدول العربية والإسلامية طبعاً - صواريخ طويلة المدى أو أسلحة كيميائية وتهدد بقطع المعونات أو حتى التلويح بالضرب كما أنها تمنع حصول المصريين على أي تعليم في أمريكا يسمح بذلك ، ومن حاول الحصول على التكنولوجيا الأمريكية المتقدمة يتعرض للمحاكمة في أمريكا « قضية المهندس عبد القادر حلمي مثلاً » ، وهناك اتهامات كثيرة حول دور المخابرات

جرائم أمريكا والغرب

الأمريكية بالتعاون مع المخابرات الإسرائيلية في اغتيال عدد من كبار علماء الذرة والتسليح المصريين « الدكتور المشد ، والدكتور بدير مثلاً » .

※ محاولة حصار مصر وإضعافها بإثارة المشاكل حول توزيع حصص المياه في وادي النيل ، وتحريض دول الحوض على مصر « إثيوبيا نموذجاً » .

※ التواجد الاستخباري والعسكري والسياسي في دول حوض النيل ومنابع النيل للتحكم في تدفق المياه إلى مصر من المنبع « التواجد في أوغندا ورواندا وبوروندي والكونغو مثلاً » . ومحاولة تحويل مجرى المنابع إلى البحيرات العظمى وتحويلها إلى بنك المياه تشتري منه الدول بالمال ، وبالتالي التحكم في نصيب مصر والضغط لحصول إسرائيل على المياه عن طريق مصر .

※ محاولة تفكيك وتقسيم السودان ، وتسليم جنوب السودان إلى عملاء أمريكا وإسرائيل ، وهذا بالطبع خطر على مصر من الناحية المائية والحياتية ، وكذلك من الناحية الاستراتيجية ، وخطر أيضاً على العرب وعلى المسلمين ، فهي محاولة لحصار مصر أولاً ، ولضرب العمق الإسلامي والعربي في أفريقيا وعزل الشمال العربي الأفريقي عن القارة السوداء والتحكم في مداخل البحر الأحمر الجنوبية .

ويمكننا أن ندرك بعض أبعاد المؤامرة الأمريكية على مصر والسودان إذا قرأنا الدراسة التي نشرتها مجلة « الشؤون الدولية » الأمريكية ، وهي مجلة ذات صلة بدوائر رسم السياسة الأمريكية في عددها الصادر في « أبريل ١٩٩٨ » حول ما أسمته « بالكتلة الأفريقية الجديدة » . تقول المجلة : « بعد التقلبات التي شهدتها أفريقيا ، كان لابد من إقامة كتلة على أساس المبادئ الأمريكية تتكون من أربع دول هي : أوغندا ورواندا وإثيوبيا وإرتريا ، وتحدد أهداف هذه الكتلة في إقامة قوات مسلحة تحت الإشراف الأمريكي تمتد بين منطقة البحيرات الأفريقية الكبرى حتى

البحر الأحمر ، وأن هذه الكتلة ستكون أقوى من الجيش السوداني ، والهدف منها هو تفكيك السودان بإثارة الحرب الأهلية ، وبعد ضرب السودان يتم إحداث تغييرات في نيجيريا وتشجيع المعارضة في كينيا ، عزل دولتي أفريقيا الوسطى وتشاد عن السودان ، السيطرة على الصومال ، وأن هذه الكتلة سوف تكون حلفاء عسكريًا سياسيًا يعمل في حملات مشتركة من منطقة البحيرات الكبرى حتى الصحراء ، وأنها سوف تغير ميزان القوى في أفريقيا » .

ويعلق الدكتور أنور عبد الملك على هذه الدراسة بقوله :

إن هدف هذه الكتلة الاستراتيجية الجديدة العميلة لحساب الولايات المتحدة الأمريكية والصهيونية هو :

- محاصرة منابع النيل الأبيض في منطقة البحيرات الكبرى ، وكذا النيل الأزرق في إثيوبيا ، وتطوير دائرة النيل الأزرق المركزية في أفريقيا من منابعها في إثيوبيا والبحيرات حتى السودان ومصر من قلب أفريقيا إلى البحر المتوسط ، وهو الهدف الاستراتيجي المواكب لبناء الجناح الجنوبي الشرقي لحلف الأطلسي بواسطة الحلف الاستراتيجي بين تركيا وإسرائيل ، ومن هذا كله فإن من الواضح أن بيت القصيد إنما هو سلب مصر مكانتها تمامًا ، وشل أي تحرك مستقبلي لها ، ومحاصرتها هي والسودان عن القيام بأي دور ، وتحقيق سيطرة مركز الهيمنة أحادي القطب الأمريكي الصهيوني على القارة الأفريقية وتصفية الوجود العربي حول مصر من الخارطة ، أي إنه إلغاء وجودنا .

- الضغط على مصر باستمرار بما يسمى بقضية « اضطهاد الأقليات » ، والسعي نحو اختراق الأقلية المسيحية رغم أنها أسعد أقلية في العالم ، ورغم ما هو معروف عن التسامح الإسلامي خاصة في مصر ، ورغم عدم وجود أي ظلال أو

ممارسات طائفية حقيقية في مصر وعن طريق هذا الاختراق يتم الضغط على مصر ، وإضعاف مكانتها الدولية أو حتى تفكيكها وتقسيمها كما هو موجود في المخططات عن طريق بث الفرقة بين أبناء الوطن الواحد وفي هذا الصدد ، يمكننا أن نفهم صدور ما يسمى بقانون حماية الأقليات من الاضطهاد عن الكونجرس الأمريكي ، وإدراج اسم مصر ؛ على رأس الدول المستهدفة بهذا القانون وتوقيع الرئيس الأمريكي بيل كلينتون لهذا القانون عقب اتفاقية واي بلانتيشن والتي هي بدورها مؤامرة على مصر ؛ لأنها تكرر لقيام حلف إسرائيلي فلسطيني « عرفاني » أردني تركي ضد مصر وسوريا وإيران والسعودية ، ويعتبر المراقبون هذا القانون بمثابة نوع من إعلان الحرب على مصر ، وتستخدم أمريكا وإسرائيل عددًا من الجمعيات المسيحية في الخارج ، وهي جمعيات مصطنعة وعميلة للترويج لمسألة اضطهاد الأقليات ؛ وهذا كله مقدمة لتقليص دور مصر الإقليمي ومنعها من المشاركة في رسم خريطة المنطقة وإطلاق يد إسرائيل فيها ، وكذلك إشعال الفتنة الطائفية أو حتى التبرير لعدوان أمريكي عسكري على مصر لمنعها من إقامة نهضة زراعية أو صناعية أو علمية .



■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

أمريكا بلا ضمير

أمريكا بلا ضمير

◆◆◆

oboiikan.com

لكثرة تكراره ، ولكثرة ممارسة أمريكا لهذا الازدواج ، فأمريكا مثلاً تستخدم حق الفيتو دائماً ضد العرب ولحماية إسرائيل وهي تتغاضى عن الممارسات الإسرائيلية والصربية في انتهاك حقوق الإنسان ثم تثير الدنيا ولا تقعد لها ضد العراق وإيران وليبيا والسودان ومصر وغيرها . والجرائم الأمريكية أكثر من أن تحصى وكذلك فإن متابعة تفاصيل هذه الجرائم والممارسات يحتاج إلى مجلدات ، وسنحاول هنا ضرب بعض النماذج بشيء من التفصيل .

■ الجريمة ضد الشعب العراقي

نحن هنا لا ننحاز لصدام حسين ، بل ربما نرى أنه أحد الأدوات الأمريكية بغبائه المنقطع النظير ، وندين أيضاً استبداده وممارساته القمعية الوحشية ولكن هذا شأن آخر ، وأمريكا في الحقيقة لا تستهدف الإطاحة بصدام حسين ، ولكنها تريد فقط القضاء على حيوية الشعب العراقي وضرب عناصر النهضة في ذلك البلد ، حتى لا يصبح يوماً قوة للعرب أو المسلمين ، ومن المعروف أن العراق يمتلك ثروة مائية وزراعية هائلة ، وهو أيضاً يمتلك ثروات معدنية خاصة البترول ، والشعب العراقي شعب متعلم به كواد علمية ودينية عالية المستوى ، وهذا معناه أن هذا الشعب لو ترك لحاله لحقق نهضة عظيمة ، ولذا كان من الضروري إدارة سيناريو يحقق لأمريكا القضاء على نهضة العراق ، وتدمير ثرواته بل وجعله دولة من الدرجة العاشرة ، وأهم المخططات في هذا الصدد هو القضاء على كوادره العلمية أولاً ، والحيولة دون ظهور أجيال جديدة متعلمة في العراق ، ولذلك نرى أن الحصار الأمريكي للعراق لا يستهدف فقط ضرب البنية الاقتصادية والعسكرية للعراق ، بل محاولة قتل الأطفال وتحويل الشعب العراقي إلى شعب جاهل بلا مستقبل ، ويكشف عن هذا الأمر أن الحصار المفروض على العراق لن يؤثر بالطبع على قادة

العراق وحكامه ، ولكنه سوف يؤثر على صحة الأطفال وعلى مستوى تعليمهم وعلى قدراتهم الجسدية والعقلية في المستقبل . وهذا هو المستهدف ، وإذا أخذنا شهادة كاتب بريطاني هو جيف سيمونز في كتابه : « التنكيل بالعراق » وقرأنا ما كتبه الرجل ، لعرفنا حقيقة وأهداف هذا الحصار ، فالرجل يقول : إن الحرب الأمريكية ضد العراق لم تكن حرباً ذات أهداف سياسية أو عسكرية بل هي مجزرة مقصودة ومتعمدة ، ففي القصف الأمريكي للعراق تم قتل ٢٠٠ ألف عراقي ، وجرح ٧٠٠ ألف ، وسقط فوق العراق في حرب الأسابيع الستة ما زنته ٨٨ ألف طن من القنابل وهي قوة تفجير وتدمير تعادل سبع قنابل ذرية من قنابل هيروشيما . ويقول الكاتب البريطاني : « جرب أن تحكي عن العراق وانتظر ما يحدث ، تتحدث عن مليون عراقي قتلهم الحرب البيولوجية الأمريكية في التسعينات ، وعن آلاف الأبرياء ومئات الآلاف الذين يرغمون على شرب مياه المجاري ، وعن النساء الصامتات اللاتي يحملن أطفالهن المحتضرين ، وعن آلاف الأطفال المصابين بإصابات لا شفاء منها ، وعن الأطفال الرضع المرضى ذوي البطون المتفخة وعن الأطفال الذين يصابون بلعماً بسبب نقص الأنسولين - وعن الملايين المحرومين من الغذاء والدواء .

ويضيف الكاتب البريطاني : « وحتى نسمة الهواء النقية جرى احتجازها خارج حدود العراق ، وأن الحصار تحول إلى حرب إبادة جماعية ، بلد بأكمله تحول إلى معسكر احتجاز وشعب بأكمله يصطف في طوابير الموت المعجل والمؤجل ١٠٠ ألف طفل في سن الخامسة يموتون سنوياً من الجوع ونقص الدواء » .

يقول الكاتب البريطاني أيضاً : « كانت قوات التحالف تحارب باسم المسيح ولتأخذ أيضاً شهادة روتها صحيفة أمريكية : لقد أحدث الإله المحب للمسيحيين مذبحة دموية ، لم يكن المسيح سوى جحيم التدمير الكامل ، الحرب الكيماوية جرى

جرائم أمريكا والغرب

استخدامها على نطاق واسع ، فكانت الحرب نووية بمعنى الكلمة ، وفي تقرير سري لهيئة الطاقة الذرية البريطانية يقول : إن ما خلفته قوات التحالف في ميادين الحرب يزيد على أربعين طناً من اليورانيوم ، وأن هناك ٨٠٠ طن من غبار وجزئيات اليورانيوم سوف تستمر في الهبوب على شبه الجزيرة العربية لمدة طويلة جداً ، فقد تم تلويث الهواء والتربة والأنهار بكميات مفزعة من الإشعاع المسبب للسرطان ، والكارثة مستمرة لآلاف السنوات القادمة ، ومكتب السكان الأمريكي يعترف بأن معدل عمر العراقيين هبط ٢٠ سنة للرجال و ١١ سنة للنساء ونصف مليون حالة وفاة بالقتل الإشعاعي .

■ مذبحه قانا :

إسرائيل هي جزء من مشروع الهيمنة الغربي على العالم ، وهي مفرزة أمريكية متقدمة ، ربما لأن إسرائيل إفراز غربي ، فهي تحمل نفس سمات الإرهاب والعنف الغربي خاصة الأمريكي ، وهي تشبه أمريكا هنا في مسألة إبادة الشعب الأصلي « الفلسطينيين » وإقامة مجتمع استيطاني على أنقاض المجتمع الأصلي ، وجرائم إسرائيل بحق الشعب الفلسطيني بل والعرب جميعاً أكثر من أن تحصى بدءاً من دير ياسين وانتهاءً بقانا ، ولأن أمريكا هي التي صنعت مع الغرب « إسرائيل » وهي التي تمولها وتنفق عليها ، فهي مجرد أداة في يد أمريكا ، وبالتالي فإن الجرائم الإسرائيلية هي جرائم تقوم بها إسرائيل نيابة عن أمريكا ، أي هي جرائم أمريكية أساساً ، وإذا أخذنا جريمة مذبحه قانا مثلاً ، فهي جريمة إسرائيلية بشعة ، وبالتالي أمريكية بشعة ، ومن المعروف أن أمريكا منعت إدانة إسرائيل في الأمم المتحدة بسبب هذه الجريمة ، وبديهي أنها لم تشجب الجريمة ولا نددت بها ، ولا فرضت عقوبات على إسرائيل - مثل العراق وليبيا - بسببها ، لأنها هي نفسها المجرم الأصلي .

ومجزرة قانا كانت جزءاً أصيلاً ومخططاً من عملية عناقيد الغضب التي قام بها

شيمون بيريز ضد لبنان وتم فيها ضرب البنية الاقتصادية من ماء وكهرباء وغيرهما في لبنان كما تم فيها ضرب القرى والمدن اللبنانية بلا هوادة ، ولناخذ أيضاً شهادة « لارا مارلو » مراسلة مجلة تايم الأمريكية في بيروت في ذلك الوقت « ١٨ ابريل ١٩٩٦ » - وكانت تلك المراسلة من أوائل الذين وصلوا إلى مكان المذبحة بعد وقوعها بقليل - تقول لارا مارلو : « وجدت جثث القتلى مكدسة فوق بعضها من أيدٍ محترقة وأطراف مبتورة وسيقان ممزقة تظهر من تحت الأغشية التي ألقاها جنود قوة السلام فوق أشلاء الضحايا ، كانت بعض الجثث متفحمة ، والبعض الآخر محترقا مشوها ومعظم الضحايا كانوا من الأطفال والنساء وكانت دماؤهم في كل مكان حتى سقف الغرفة كان ملطخاً بالدماء ، وأخذت القوات الدولية كانت تغطيها الدماء ، لأنهم كانوا يبحثون بين عشرات الجثث عن المصابين الأحياء وأخذ أفراد القوات الدولية يحملون اللحم البشري في أكياس بلاستيكية سوداء وشاهدت بعيني أحد أفراد القوات الدولية يمسك في يده بطفل رضيع مقطوع الرأس ، كما رأيت سيدة لبنانية تحتضن رجلاً عجوزاً بعد أن لفظ أنفاسه الأخيرة ، وكانت كتفه اليمني قد قطعت تماماً وانفصلت عن جسده وكانت السيدة تصرخ أبي .. أبي ، وعلى طول أرضية الممر الذي يؤدي إلى الخارج كانت هناك آثار أقدام حمراء اللون ستظل ذكرى لما حدث في قانا » .

وقانا هي بلدة لبنانية تقع فيها مراكز قوة السلام الدولية ، وكان أهالي الجنوب قد لجأوا إلى مقر قوة السلام الدولية التابعة للأمم المتحدة الموجودة في بلدة قانا للاحتباء بها من القصف الإسرائيلي الوحشي على جنوب لبنان ، ولكن الإرهاب الصهيوني المدعوم بأمريكا لم يتورع عن ضرب هؤلاء المدنيين حتى في مقر الأمم المتحدة .

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

أمريكا في عيون هؤلاء

- سياسي أمريكي
- مفكر أمريكي يهودي
- مفكر عربي



oboiikan.com

وهويات مختلفة الأول هو الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون ، وهو لا شك من أهم السياسيين الأمريكيين وأحد أهم المطلعين على خفايا السياسة الأمريكية وربما أحد واضعي سياستها الخارجية ، وهو بهذا ليس سياسياً فقط ، بل مفكر يؤمن بالدور الأمريكي وبالتالي يكشف عن حقيقة توجهات السياسة الأمريكية ومن خلال قراءة في كتابه « الفرصة السانحة » نستطيع أن نفهم بعض ملامح هذه السياسة وأثرها على العالم لمن العربي والإسلامي بالذات .

والثاني هو نعوم تشومسكي وهو مفكر أمريكي ويهودي أيضاً ولكنه من أكبر الناقدين للسياستين الأمريكية والصهيونية وهو في كتابه « ماذا يريد العم سام » يتحدث عن الأهداف الرئيسية للسياسة الخارجية لأمريكا خاصة بعد الحرب العالمية الثانية وكيف أنه في سبيل تحقيقها انتهت كل ما تنادي به من مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان وحق تقرير المصير .

والثالث هو الدكتور عبد الوهاب المسيري ، وهو من أهم المفكرين العرب الذين استطاعوا أن يقدموا رؤية تحليلية ونقدية للحضارة الغربية عموماً والأمريكية خصوصاً ، وقد عاش في أمريكا ودرس تجربتها عن قرب بعيون مثقف مصري عربي مسلم ، وكتابه هو : « الفردوس الأرضي » دراسات وانطباعات عن الحضارة الأمريكية الحديثة .

أمريكا بعيون رئيس أمريكي أسبق :

« كتاب الفرصة السانحة » لريتشارد نيكسون .

يتضمن كتاب نيكسون الذي نحن بصده سبعة فصول هي :

(العالم الحقيقي ، إمبراطورية الشر السابقة ، الوطن المشترك عبر المحيط الأطلنطي ، المثلث الباسفيكي ، العالم الإسلامي ، نصف الكرة الجنوبي ، تجديد

أمريكا) ... ومن خلال هذه الفصول السبعة يشرح الرئيس الأمريكي الأسبق أفكاره وي طرح آراءه فيما حدث وسوف يحدث في العالم والتحديات التي تواجه أمريكا لكي تفرض قيادتها وهيمنتها على العالم وتحقق حلمها في جعل القرن الواحد والعشرين قرنًا أمريكيًا .

وفي الفصل الأول يحلل نيكسون أحداث العالم في السنوات الأخيرة ويصل إلى نتيجة مؤداها أن الشيوعية قد انتهت ، ولكن ليس معنى ذلك نهاية التاريخ ولا نهاية الصراعات ، وينتقد نيكسون شعار الذي يقول به بعض الأمريكيين : إن على أمريكا أن تعود إلى بيتها بعد الانتصار الذي حققته ، ويرى أن هذا الشعار ليس صحيحًا بل محض خيال ، يقول نيكسون : « لقد ثبت فشل الشيوعية ولكن الصراعات القبائلية والدينية ، القديمة قدم الأزل لا تزال مصدر كثير من الحروب والثورات » ، ويصل نيكسون إلى نتيجة مؤداها أن العصر الجديد ربما يكون أكثر عنفا من العصر الذي سبقه .

ويرى نيكسون أيضاً أن القائلين بأن القوة العسكرية لم تعد لها ضرورة ، مخطئون خطأ كبيراً ويدعو نيكسون إلى التأكيد على استمرار التفوق العسكري الأمريكي والمزيد من القوة العسكرية ؛ لأنه إذا كانت الحرب الباردة انتهت ، فإنه ربما تنشأ حرب ساخنة في مكان آخر .

يقول نيكسون : « إن رسالة الولايات المتحدة الأمريكية الجديدة يجب أن تركز على موقف صلب نابع من حقائقها السياسية والجغرافية وليس على الرمال الهشة للمثالية غير الممكن تحقيقها ، إن الدول لديها مبادئها ومصالحها ؛ ولكي تتمكن من تحقيقها يجب أن تكون لديها القوة لذلك ، بما في ذلك قوة السلاح ، لأن مصالح الأمم قد يتعارض بعضها مع البعض الآخر ، وفي حالة عدم وجود حكم يرتضيه

الطرفان فإن هذا التعارض لن تحسمه إلا الحرب . هكذا كان الوضع قبل الحرب الباردة وفي أثنائها وسوف يستمر بعدها وسوف تظل هذه القاعدة سارية طوال الحياة » .

ولا ينسى نيكسون بالطبع أن يقدم مغالطة معروفة قائلاً : « إن على أمريكا أن تقوم بدور الريادة في العالم لتنشر أفكارها ومبادئها وتكون مثلاً يحتذى بين دول العالم ، وأن أمريكا لا تملك تطلعات إمبريالية أو استعمارية تجاه الدول الأخرى ! (علامة التعجب من عندنا) .. على أن نيكسون يعود فيعترف دون أن يدري بأنه لا مثالية في السياسة وأن على السياسة الأمريكية ألا تكون مثالية بل واقعية حتى لو كانت غير أخلاقية وأن على الحكومة الأمريكية إقناع الشعب الأمريكي بأن مصالح الولايات المتحدة الأمريكية مشروعة بصرف النظر عن تعارضها مع مصالح الآخرين ، وأنه يلزم استخدام القوة في حماية المصالح الحيوية لأمريكا . ثم يعود نيكسون فينسى المصالح قائلاً :

« إن علينا أن نشر الفضيلة في العالم وفقاً لمعتقداتنا الدينية » (ص ٢٣) .
ويقسم نيكسون مصالح الولايات المتحدة إلى درجات حسب الأولوية ، فبعضها حيوي ، وبعضها حساس ، وبعضها هامشي ، على أن الغريب في الأمر أن نيكسون جعل الدفاع عن إسرائيل من المصالح الحيوية لأمريكا .
وبالطبع ينهى نيكسون هذا الفصل بفروضة المشروطة قائلاً : « إن أنظار العالم تتجه إلى أمريكا الآن لكي تخرجه من مشاكل ما بعد الحرب الباردة ، وأنه لأول مرة في التاريخ تبدو الفرصة سانحة لكي نجعل القرن القادم عامراً بالحرية والسلام والتقدم ، ولا توجد اليوم أي دولة خلاف أمريكا تستطيع تحقيق ذلك ، وقد حانت الآن الفرصة الصادقة لتحقيق ذلك ، ويجب علينا أن ننتهز الفرصة » .

وفي الفصل الثاني .. يتحدث نيكسون عن التحدي الذي يواجه أمريكا من الاتحاد السوفيتي السابق ، أو روسيا ودول الكومنولث حاليّ ، وفي هذا الفصل كلام كثير لا يهمننا ، ولكن فيه أيضاً ما يهمننا في إلقاء النظرة على الانتهازية الأمريكية وإصرار أمريكا على تصدير قيمها الحضارية والسياسية والاجتماعية كشرط لتقديم المعونة إلى أي دولة ، فلا بد لتقديم المعونة الأمريكية إلى دولة ما أو شعب ما أن يقبل هذا الشعب مثلاً قيمه مثل السوق الحرة ، أي الرأسمالية واقتصاديات السوق وغيرها من القيم الأمريكية والغربية عموماً ، وكذلك يمكننا فهم التكتيك الأمريكي الذي تم اتباعه مع جوروباتشوف ويلاتسين ، وتفضيل الأخير على الأول ، ودفع الأمور في الاتحاد السوفيتي ليس إلى التخلي عن الشيوعية فقط بل إلى تفكيك الاتحاد السوفيتي كله بل تفكيك روسيا ذاتها في المستقبل إذا أمكن وكذلك إضعافها بكل السبل دون توصيلها إلى مرحلة الموت ؛ وهي سياسة أمريكية معروفة تلخص في دفع البعير إلى الغرق ثم انتشاله قليلاً ليتنفس ثم تركه ليغرق ثانية وهكذا ... ! على أن المثير في هذا الفصل أن نيكسون - وفي إطار حديثه عن ضرورة تقليص الإمكانات العسكرية الروسية خاصة الصواريخ - تطرق أيضاً إلى ضرورة الحرمان التام لدول العالم الثالث الشريرة من هذه الصواريخ ومن القوى النووية برمتها ، في حين وصف بعض هذه الدول بلشريرة مثل : ليبيا والعراق وإيران وسوريا ... فإنه وصف إسرائيل بالطيبة ، وفي حين دعا إلى نزع سلاح الأولى من أي إمكانيات نووية وكذلك من القدرات الصاروخية غير النووية فإنه لم يدع إلى الشيء نفسه بالنسبة لإسرائيل ، وليس مصادفة مثلاً أن تكون القوى والدول الشريرة التي ذكرها نيكسون وهي : ليبيا والعراق وإيران وسوريا كلها دولاً إسلامية . على أي حال ، هذا الأمر يكشف عن ازدواج المعايير الأمريكية بين

العرب والمسلمين وبين اليهود .

على أن من الجدير هنا أن نسجل لنيكسون صدقه ولو لمرة واحدة حين اعترف بفضل الجهاد الأفغاني في إسقاط الشيوعية والاتحاد السوفيتي حين قال : « إن شجاعة واستبسال المقاومة الأفغانية كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى انهيار الإمبراطورية السوفيتية في أوروبا الشرقية ، فقد رأت هذه الشعوب ، عندما فشل الجيش السوفيتي في الانتصار على المقاومة الأفغانية أن الفرصة قد سنحت لها وأن الكرملين ليس لديه العزم الكافي للسيطرة على الإمبراطورية السوفيتية » .

ولعل دور الجهاد الأفغاني في إسقاط الإمبراطورية السوفيتية وانهيار الشيوعية أمر لا ينكره إلا مكابر بعد أن اعترف به نيكسون نفسه ، ولعل هذا ما يؤكد بركة وقيمة الجهاد كقيمة إسلامية عظيمة كفيلة بتحرير الشعوب الإسلامية وانتزاع حقوقها واسترداد كرامتها بل التأثير في مجريات الأحداث الكونية ومستقبل النظام العالمي بأسره ، وهو ما يؤكد أننا إذا استعدنا هذه القيمة « الجهاد » لأمكن لنا الانتصار في معركتنا الحضارية الحالية والمستقبلية ولأمكننا أن نحقق سيادة الإسلام وقيمه على العالم كله بإذن الله .

وقد يقول قائل : إن الجهاد الأفغاني انتصر مثلاً بفضل الدعم الأمريكي نكايه في لسوفيت ، ولكن هذا القول يفتقر إلى الموضوعية ، لأن هذا الدعم الأمريكي كان محدوداً جداً . وحتى لو كان كبيراً فإنه لا يمكن لأي دعم خارجي أن يحقق نتائج ملموسة على أرض الواقع ، لأن الفاصل في هذه المسائل هو قوة المقاومة بشرياً وسياسياً وعسكرياً ، ولعل الدعم الأمريكي المزعوم لو كان حاسماً لكانت فرصة لمجر أو تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٥٦ ، ١٩٦٨ أكبر لأن المواجهة مع الروس كانت في هاتين الحالتين تستند إلى نظامين للحكم يمتلكان مؤسسات وإمكانيات دولهما في

حين أن الجهاد الأفغاني لم يكن يمتلك إلا الجماهير وإرادة القتال في مواجهة الاتحاد السوفيتي السابق ومواجهة نظام حكم يملك ولو بالقمع إمكانيات الدولة الأفغانية .

وفي الفصل الثالث يؤكد نيكسون على حقيقة معروفة ، وهي أن الولايات المتحدة الأمريكية جزء لا يتجزأ من الحضارة الأوروبية بكل قيسها وتراثها ، بل إنه استخدم عنواناً لهذا الفصل يؤكد ذلك وهو : « الوطن المشترك عبر المحيط الأطلنطي » . كما أنه ختم الفصل بقوله : « علينا أن نسعى لبناء وطن مشترك عبر الأطلنطي من كاليفورنيا حتى كمشاته » . ، ويقول نيكسون أيضاً : « إن القيم الحضارية الغربية حضارة واحدة في أمريكا وأوروبا » ، بل وفي أوروبا الشرقية التي تحررت من الشيوعية أخيراً ، فإنه يجعل أمريكا بالطبع هي قئدة هذه المجموعة والمسئولة عن حماية هذه الحضارة ونشر تلك القيم ويحذر طبعاً من إمكانية أن تكون أوروبا الموحدة تحدياً كبيراً للانفراد الأمريكي بالقيادة والقوة ، وهو يدعو إلى عدد من الإجراءات والسياسات التي تحول دون أن تكون أوروبا الموحدة قوة منافسة أو بديلة لأمريكا وأن تظل أمريكا هي القوة الكبرى والقائدة الوحيدة إذا أمكن .

ولعله قد يتبادر إلى ذهن البعض أن هناك تناقضاً في كلام نيكسون ، فكيف يتحدث عن وحدة حضارية وقيمة بين أوروبا وأمريكا ويحرص في الوقت نفسه على أن تظل أوروبا أضعف من أمريكا ، ولكن كلام نيكسون هنا متسق مع نفسه بل مع كل القوانين التاريخية والاستراتيجية ، لأنه إذا كان هناك ناقض جوهري بين الحضارة الغربية ككل بما فيها أوروبا وأمريكا وبين الحضارات الأخرى خاصة الحضارة الإسلامية وأن قوى الحضارة الغربية تسعى لابتلاع وتدمير الحضارات الأخرى ، فإن هذا لا يمنع من وجود تناقضات ثانوية قوية أو ضعيفة بين قوى الحضارة الغربية بعضها مع البعض ، ولكن يجب علينا أن ندرك أنه مهما كانت هذه التناقضات بين قوى

جرائمه أمريكا والغرب

لحصارة الغربية قوية فإنها تظل في إطار التناقضات الثانوية وأنها تتلاشى سريعاً بمجرد ظهور التناقض الجوهرى ، فهذه القوى تنسى خلافاتها سريعاً تجاه المسلمين مثلاً .

وفي الفصل الرابع ، يتحدث نيكسون عن مستقبل العلاقات الدولية في المثلث ، الباسيفيكي الذي يضم روسيا والصين واليابان ، وبالطبع يدعو ويخطط لأن تكون الولايات المتحدة الأمريكية هي القائدة والمهيمنة في هذا المثلث ، فهو يلمح إلى الخلافات والصراعات والحروب بين دول هذا المثلث ويلوح بإمكانية استخدامها لإضعاف هذا المثلث ووقوعه بالكامل في الهيمنة الأمريكية ، كما يقدم نيكسون رؤيته لكيفية إدارة العلاقة مع المارد الاقتصادي الياباني وكيفية ترويضه لصالح أمريكا ، وكذلك عن المارد البشري الصيني وكيفية اختراقه والقضاء على الشيوعية فيه والسياسة الأمريكية التي يراها مناسبة لذلك ، ويخلص نيكسون إلى القول : « إن الولايات المتحدة الأمريكية هي الوحيدة التي تملك تأثيراً محسوساً على الدول التي تقع على طرفي المحيط الباسيفيكي ، والذي يمكن أن يؤدي إلى التوازن والاستقرار بين الدول في هذه المنطقة » . ويقول أيضاً : « يجب أن يكون وجودنا في الباسيفيكي بحجم كاف يمنع وجود فراغ أمني في المنطقة » . ويضيف : « بالرغم من أن علينا أن نتجنب الظهور بمظهر المحرك للأحداث في منطقة الباسيفيكي إلا أن لدينا دوراً يجب أن نقوم به ، فالولايات المتحدة هي الوحيدة التي لها القدرة على أن تحفظ توازن القوى في المنطقة ، وهذا هو الشرط الأساسي للتقدم والازدهار » .

وفي الفصل الخامس ، الذي جاء تحت عنوان « العالم الإسلامي » - وهو أهم وأخطر فصل في الكتاب باعتباره يمسننا كمسلمين ، ويشكل رؤية أمريكا لمستقبل العلاقة مع الإسلام - يطرح نيكسون عدداً من الأفكار والتصورات حول الإسلام ، كما أنه يرسم الاستراتيجية التي ينصح الغرب باتباعها إزاء العالم الإسلامي .

وعلى أي حال ، فإن نيكسون قد قال العديد من الحقائق ولكنه أراد بها باطلا ، كما أنه أورد العديد من المغالطات حول العالم الإسلامي .

بداية ، يعترف نيكسون : « بأن الإسلام ليس مجرد دين ، بل هو أساس حضارة كبرى ، نحن نتكلم عن العالم الإسلامي كوحدة واحدة ليس بسبب وجود لجنة مركزية إسلامية تدير سياسة المسلمين في العالم ، ولكن لأن الدول الإسلامية تجمعها تيارات سياسية وثقافية واحدة نابعة من الحضارة الإسلامية ككل ، وتسري هذه التيارات في جميع البلدان الإسلامية بصرف النظر عن الاختلافات بين هذه البلاد وبعضها .. ويعترف نيكسون أيضاً : « بأنه بينما كانت أوروبا ترتفع في غياهب العصور الوسطى كانت الحضارة الإسلامية في أوج ازدهارها ، لقد أسهم الإسلام كثيراً في تقدم العلم والطب والفلسفة ، وينقل نيكسون عن ويل ديورانت في كتابه « عصر الإيمان » : « أن المسلمين قد أسهموا إسهاماً فعالاً في كل المجالات ، فكان ابن سينا من أكبر العلماء في الطب ، والرازي أعظم الأطباء ، والبيروني أعظم الجغرافيين ، والحسن بن الهيثم أكبر علماء البصريات وجابر بن حيان أشهر الكيميائيين ، وكان العرب رواداً في التربية والتعليم ، فقد قال ديورانت في هذا الشأن : إنه عندما تقدم روجر بيكون بنظريته في أوروبا بعد ٥٠٠ عام من ابن جبير قال إنه مدين بعلمه إلى المغاربة في أسبانيا الذين أخذوا علمهم من المسلمين في المشرق » . ويضيف نيكسون : « وعندما ظهر النوابع والعلماء في عصر النهضة الأوربي ، فإن نبوغهم وتقدمهم كان راجعاً إلى أنهم وقفوا على أكتاف العمالة من العالم الإسلامي » .

ويعترف نيكسون أيضاً :

« بأن الشعوب الإسلامية جميعها تفخر بعراقتها وتاريخها وأن الإسلام قد وقف بصلافة ضد الشيوعية أقوى كثيراً مما وقفت المسيحية ضدها ، وأنه كان للوزاع

جرائر أمريكا والغرب

الديني الإسلامي في الدول الإسلامية أكبر أثر في عدم تغلغل السوفييت في العالم الإسلامي .

ويقول نيكسون : « إن المسلمين يزدون على المليار نسمة ، ويعيشون في ٣٧ دولة من دول العالم ، ويتممون إلى ١٩٠ جنسية ويتكلمون مئات اللغات واللهجات وهذا مصدر قوة كبير لهم ، وأنهم يسيطرون على معظم البترول الموجود في العالم ويتمتعون بخصوبة هائلة في مجال النسل ومن المتوقع تضاعف عددهم في غضون عشرين عامًا .

وأنهم يعيشون في أرض يبلغ طول أضلاعها عشرة آلاف مليون ميل وتمتد من سراكش إلى يوغسلافيا ، ومن تركيا إلى باكستان ، ومن جمهوريات آسيا الوسطى إلى قندونيسيا ، كما يوجدون في الصين والهند والاتحاد السوفيتي السابق .

وإذا كان نيكسون يعترف بهذه الحقائق ، فليس ذلك من قبيل مدح الإسلام والمسلمين ولكن ليدق جرس الخطر وينذر الغرب والأمريكيين بأنهم يتعاملون مع قوة لا يستهان بها ليست مثل باقي القوى التي تحدث عنها من قبل ، ولكنها قوة تمتلك التاريخ والجغرافيا والحضارة والموارد والسكان ، أي أنها تمثل تحدياً حضارياً كبيراً على الغرب وأمريكا .

ويعبر نيكسون عن هذا الأمر قائلاً : « هذه الإنجازات تبين ما كان عليه العالم الإسلامي في الماضي ، وكذلك تبين ما يمكن أن يكون عليه في المستقبل إذا توقفت الحروب بين المسلمين وتوقف عدم الاستقرار السياسي ... ونيكسون من هنا يضع أولى خططه الاستراتيجية لمنع قيام الإسلام بتحدي الغرب ؛ وهي إزكاء الحروب بين المسلمين وعدم توقفها ، وكذلك استمرار عدم الاستقرار السياسي في العالم الإسلامي » .

جرائم أمريكا والغرب

ثم يكشف نيكسون عن نفسه أكثر قائلاً : « ويحذر بعض المراقبين من أن الإسلام سوف يصبح قوة جيوبوليتيكية متطرفة وأنه مع التزايد السكاني والإمكانات المادية المتاحة سوف يشكل المسلمون مخاطر كبيرة وسوف يضطر الغرب إلى أن يتحد مع موسكو لمواجهة الخطر العدواني للعالم الإسلامي ويزيد هذا الرأي بأن الإسلام والغرب متضادان وأن نظرة الإسلام للعالم مقسمة إلى قسمين « دار الإسلام » و « دار الحرب » حيث يجب أن تتغلب الأولى على الثانية وأن المسلمين يوحدون صفوفهم للقيام بثورة ضد الغرب وعلى الغرب أن يتحد لمواجهة هذا الخطر الداهم بسياسة واحدة » .

ثم يبدأ نيكسون في وضع تفاصيل خطته لترويض هذا المارد وإخضاعه للهيمنة الأمريكية ، فيبدأ بالقول : « يتصور كثير من الأمريكيين أن المسلمين هم شعوب غير متحضرة ودمويون وغير منطقيين ، ويتذكر هؤلاء الأمريكيون ثلاث حروب قامت بها الدول العربية لمحو إسرائيل ويتذكرون أيضاً احتجاز الرهائن الأمريكيين في طهران ، وهجوم الإرهابيين على القرية الأولمبية في ميونيخ والعمليات الفدائية ضد المارينز في لبنان وتفجير الطائرات المدنية » .

« ولكن ليس كل المسلمين إرهابيين ، فهناك مثلاً - والكلام لا يزال لنيكسون - كثير من السياسة في الدول الإسلامية لا تزيد علاقتهم بالإسلام على علاقتهم بمثله وتقاليده وعاداته !!! ... ونيكسون هنا يحقق أكثر من هدف في خطته ، فهو يوضح للأمريكيين ضرورة تشجيع الاتجاهات المعتدلة والتي لا علاقة لها بالإسلام في العالم الإسلامي ، والتي ترفض الإرهاب ، وهو في الوقت نفسه يفتح الباب لهذه القوى لكي تزيد من اعتدالها حتى يرضى عنها الأمريكان ، وينسى نيكسون أو يتناسى هنا أن هذا الإرهاب ما هو إلا جهاد وأن هؤلاء الذين شنوا الحرب على إسرائيل أو

قاوموا الوجود الأمريكي في لبنان أو طاردوا الإسرائيليين في ميونيخ لم يكونوا إلا مجرد مدافعين عن أنفسهم فإسرائيل هي التي احتلت فلسطين ولم تذهب فلسطين إلى اليهود في بلادهم مثلاً ، والعرب الذين شنوا حرباً على إسرائيل كانوا في الواقع يدافعون عن أنفسهم ، وهؤلاء الذين احتجزوا الرهائن في طهران أو طاردوا الإسرائيليين في ميونيخ أو قاوموا التدخل الأمريكي والأوروبي في لبنان كانوا أيضاً يدافعون عن أنفسهم وكانت قضيتهم عادلة .

إن المسألة في تقدير نيكسون وتقدير الغرب هو أن على المسلمين أن يتخلوا عن دينهم ، أو على الأقل عن الجهاد ويتعاملوا مع الإسلام بمنطق تعبدى فقط ، أي أن يستكينوا للتدخل الأمريكي والإسرائيلي وألا يدافعوا عن أنفسهم تجاه العدوان لأمريكي والإسرائيلي وأن يقبلوا طواعية الاندماج في قيم الحضارة الغربية ويتخلوا عن قيمهم الذاتية ، ولعل هذا يتضح من خلال تقسيم نيكسون للمسلمين إلى سنة وشيعة وصوفية مع أن الصوفية ليست طائفة بل هي موقف ، إنما نيكسون هنا يريد لموقف الصوفي الذي يقطع صلة المسلم بالحياة والجهاد أن يكون هو الأصل فيجعل نيكسون عن علم أو عن جهل طائفة إسلامية ثالثة تستحق الدعم والتشجيع الغربي ، وكذلك في تصنيف نيكسون للقوى السياسية في العالم الإسلامي إلى أصوليين ورجعيين وتقدميين ، والأصوليون ندد نيكسون هم المصممون على استرجاع الحضارة الإسلامية ويهدفون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية وينادون بأن الإسلام دين دولة ويحتدون بشدة على الغرب^(١) ، على الرغم من أنهم

(١) وهل هناك مسلم لا يريد استرجاع الحضارة الإسلامية ولا يهدف إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ولا يرى أن الإسلام دين ودولة ؟ أما مسألة الحقد على الغرب فبسبب تجاربنا المريرة معه ، وبالتالي فمن المفروض أن يكون كل المسلمين أصوليين يا مستر نيكسون .

ينظرون إلى الماضي فإنهم يتخذون منه هداية للمستقبل فهم ليسوا محافظين ولكنهم ثوار»^(١).

والرجعيون حسب تعريف نيكسون هم الدكتاتوريون الذين يؤمنون بالحزب الواحد ، أما التقدميون فإن نيكسون يقول عنهم : « هذه المجموعة نشاطها محسوس ولكن قل أن تشعر بوجودها ، وهي تسعى إلى ربط المسلمين بالعالم المتحضر من الناحية السياسية والاقتصادية وتتميز هذه المجموعة بالمرونة ولا ينعوتون الغرب بأنه ملحد » .

وبالطبع هذه المجموعة التي تدعو إلى ربط المسلمين بالغرب ، أي إفقادهم تميزهم الحضاري وخضوعهم للغرب بحكم توازنات القوة حاليًا هي المجموعة المرشحة لدى نيكسون لتلقي الدعم والتشجيع من الغرب . يقول نيكسون في هذا الصدد : « يجب علينا أن نعاون التقدميين في العالم الإسلامي ففي ذلك مصلحتنا ، فهم يحتاجون لأن يعطوا أنصارهم بديلاً لأيديولوجية الأصوليين المتطرفين »^(٢) وانغلاق الرجعيين » .

ويضيف نيكسون : « إن مفتاح السياسة الأمريكية يكمن في التعاون الاستراتيجي مع المسلمين التقدميين فقط »^(٣) ، وأنه يجب أن يغطي تعاوننا جميع المجالات الاقتصادية والأمنية »^(٤) .

(١) لعل هذه الفقرة تثبت عدم دقة نيكسون وعدم دقة استعمال مصطلح الأصولية لوصف المسلمين الثوار .

(٢) أي استبدال الأيديولوجية الإسلامية بالأيديولوجية الغربية !

(٣) أي المسلمين الذين لا يؤمنون بالأيديولوجية الإسلامية ولا القيم الحضارية الإسلامية ولا يريدون استعادة مجد الإسلام ولا تطبيق الشريعة الإسلامية ويفقدون كل مطالب الغرب ولو على حساب شعوبهم .

(٤) هل الأمنية هنا تعني الاحتلال العسكري أم تعني المشاركة في ضرب الأصوليين ؟

ولا ينسى نيكسون طبعاً التأكيد على نقطتين في استراتيجيته مع العالم الإسلامي وهما : استمرار اختلاف المسلمين وعدم وحدتهم ومحاولة تحديد نسلهم !

على أن من الطريف أيضاً أن نيكسون لا يمانع في أن يقوم هؤلاء الموالون لأمريكا في العالم الإسلامي بشتم أمريكا علناً إرضاء لشعوبهم وتهدة لها بشرط أن يظل سلوكهم وسياستهم لصالح أمريكا ، يقول نيكسون : « علينا أن نتقبل في بعض الأحيان رفض أصدقائنا في العالم الإسلامي لبعض تصرفاتنا التي تسبب لهم حرجاً سياسياً في بلادهم ، فعندما ألقى الولايات المتحدة القنابل على ليبيا انتقاماً منها لمهاجمة بعض الجنود الأمريكيين قام كثير من الزعماء في المنطقة بلعنا على الملأ ، وبالثناء علينا في سرهم ، فيجب ألا يزعجنا أن تضطر الظروف أصدقاءنا أن يتفوهوا ببعض السباب ضدنا » !!!

وفي مسألة تسليح المنطقة أو نزع سلاحها ، ينصح نيكسون أولاً بمد الدول الإسلامية بالأسلحة التي لا قيمة لها ؛ لسببين : أولهما : الحصول على أموال تلك الدول ، وثانيهما : منعها من محاولة تصنيع السلاح بنفسها لأنها قد تلجأ إلى ذلك بنفسها أو بالتعاون مع دول أخرى في حالة حظر السلاح عليها تماماً ... أما بخصوص الأسلحة الاستراتيجية سواء النووية أو الجرثومية أو الكيميائية أو حتى الصواريخ التقليدية فإنه يجب - في رأي نيكسون - أن تمتنع أمريكا والغرب عن مد الدول الإسلامية تماماً بها ^(١) . ، وينصح نيكسون بتقديم السلاح إلى إسرائيل ومحصلة هذا بالطبع أن تصبح إسرائيل هي القوة العسكرية الوحيدة في المنطقة .

وبخصوص إسرائيل والصراع العربي الإسرائيلي يقول نيكسون : « إن التزاماتنا

() يصف نيكسون دولاً مثل ليبيا والعراق وإيران وسوريا والجزائر بأنها دول شريرة تسعى للحصول على السلاح النووي ! وينسى نيكسون أن إسرائيل حصلت بالفعل على هذا السلاح .

جرائم أمريكا والغرب

تجاه إسرائيل عميقة جدا ، فنحن لسنا مجرد حلفاء ، ولكننا مرتبطون ببعضنا بأكثر مما يعنيه الورق ، نحن مرتبطون معهم ارتباطاً أخلاقياً ، إن إسرائيل ليست مكسباً استراتيجياً للولايات المتحدة ، بخلاف الرأي السائد في هذا الشأن . إن تعاوننا في أجهزة المخابرات والمناورات الحربية مهم ولكنه ليس حيويًا ، ولكن التزامنا تجاه إسرائيل هو ميراث حضاري ، وأي رئيس أمريكي لن يسمح بتدمير دولة إسرائيل .

وهذا الكلام الخطير من نيكسون يعني أن التحالف بين إسرائيل وأمريكا ليس مجرد تحالف مصلحة ولكنه تحالف بين الحضارة الغربية واليهود على حساب الإسلام طبعًا ، وهذا ما يؤكد النبوءة القرآنية التي تقول بأن هذا التحالف سيقع يومًا ما ... ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ مَعْهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ ، وموالات اليهود والنصارى لم تحدث إلا منذ عهد قريب ولكنها الآن أصبحت إحدى الركائز في السياسة الدولية ، وحتى الفاتيكان برأت اليهود من دم المسيح حسب معتقدهم كما أنها أعلنت أنها لا تمنع في كون القدس عاصمة لإسرائيل ، ومن المعروف أن هناك اتجاهًا مسيحيًا بروتستانتيًا يرى بوجوب دعم إسرائيل كواجب ديني لإقامة دولتها من النيل إلى الفرات ؛ لأن هذا هو أحد شروط ظهور المسيح .

ولكن نيكسون يرى أن من الضروري إقامة سلام بين العرب وإسرائيل ، وأن الفرصة سانحة الآن لتحقيق ذلك ، لأن العرب ضعفاء ومنظمة التحرير ضعيفة وروسيا مشغولة بترتيبات بيتها من الداخل ، ويرى نيكسون أن السلام بين العرب وإسرائيل ضروري لهما وضروري لأمريكا لأنها تحمل العبء الأكبر في الخلاف بين العرب وإسرائيل لأنها تمتلك علاقات اقتصادية ومصالح مع العرب والتزام أخلاقي تجاه إسرائيل وأن الصراع بين العرب وإسرائيل يكلف أمريكا كثيرًا كما أن

جرائم أمريكا والغرب

تأخير حل المشكلة سيقوى من نفوذ الأصوليين في البلاد العربية خاصة المجاورة لإسرائيل !!! .

وفي نهاية هذا الفصل الخطير ، يطرح نيكسون رأياً غاية في الخبث والخطورة قائلاً :
« إن الحقبة القادمة سوف تكون حقبة بناء وتعاون لا حقبة صراعات وهدم » .

ولا ندرى كيف يكون هناك تعاون بين الظالم والمظلوم ، وبين حضارة تقوم على النهب والقهر والعنف ، وحضارة تنادي بالتحريض والانعقاد والعدل ، اللهم إلا إذا كان المطلوب منا أن نستسلم لسكين الجزار .

وفي الفصل السادس الذي جاء تحت عنوان « نصف الكرة الجنوبي » يتحدث نيكسون عن سوء الأحوال الاقتصادية والمعيشية في عالم الجنوب الذي يحدده نيكسون بأن الدول النامية في أفريقيا وأمريكا اللاتينية وشرق آسيا وجنوبها .

ويغالط نيكسون ويكذب حين يقول : « إن الغرب ليس هو السبب في المجاعة وسوء التغذية والأمراض التي تصيب الدول الفقيرة » .

وينسى نيكسون أن عمليات النهب والقهر والاستعباد وجلب الموارد والعبود أثناء فترة الاستعمار كانت هي السبب في تخلف دول الجنوب ، وأن الرخاء الذي يعم به أهل الشمال ما هو إلا دماء وثروات أهل الجنوب .

وبالطبع يحدثنا نيكسون عن الواجب الأخلاقي الأمريكي في مساعدة نصف الكرة الجنوبي إلا أن نيكسون ينسى نفسه ويعود فيضع تصوراً لهذه المساعدة يحقق فائدة للشمال أولاً : فهو يرى أن هناك مصلحة اقتصادية واستراتيجية كبيرة ومهمة لسلك تتمثل في المحافظة على استمرار تدفق البترول والخامات من تلك الدول ، الأمر الذي يستلزم شيئاً من المساعدة حتى لا تحدث ثورات متطرفة في تلك الدول تمنع الغرب من الحصول على الخامات اللازمة له ، وكذلك فإن نيكسون يرى أن

مساعدة الجنوب ستعود بالفائدة على الغرب ؛ لأنها سوف تزيد صادرات الولايات المتحدة بما قيمته ٣ تريليونات دولار^(١) مما يعطيهم الحيوية في نشاطهم الاقتصادي ويفتح مجالاً للعمل أمام الأمريكيين . ويعبر نيكسون عن ذلك قائلاً :

« إن مزيداً من التقدم الاقتصادي في الدول المتأخرة يعني مزيداً من المال في جيوب الأمريكيين » !!

ويستمر نيكسون في مناقشة فوائد مساعدة الجنوب بالنسبة لأمريكا قائلاً :

« إن عدم التوازن في مكان يبعد عنا بنصف محيط الكرة الأرضية له تأثير عميق هنا في بلدنا ، ومثل هذه الصراعات يمكن أن ينتج عنها اضطرابات في تدفق البترول أو غيره من المواد الأولية مما يكون له أثر عميق على أمننا الداخلي ، بل إن مسيرتنا الاقتصادية يمكنها أن تقع أسيرة لتصرفات عدوانية » .

ويضيف نيكسون : « ما لم نتبنى تطوير الاقتصاد في الدول المتخلفة فسوف تزدحم حدودنا باللاجئين هرباً من الاقتصاد المتعثر في بلادهم للبحث عن فرص عمل عندنا .. ولو أدركنا ظهورنا لهذه المشكلة اليوم فسوف نجد هؤلاء العمال يطرقون أبوابنا بعنف غداً » .

وفي الفصل السابع والأخير ، يقدم لنا نيكسون أمريكا بطريقة براقة لتكون قائدة العالم بلا منازع قائلاً : « أمريكا لديها دور مهم تقوم به في هذا العالم ولا يمكن أن تقوم به أي دولة أخرى ، ربما تستطيع إحدى الدول أن تحمل محلنا من الناحية العسكرية ، وقد يصل البعض إلى ما وصلنا إليه اقتصادياً ، ولكن ليس هناك إلا الولايات المتحدة التي تملك القوى العسكرية والسياسية والاقتصادية لتقود العالم في طريق الحرية ، ومقاومة الاعتداء ، والأهم من ذلك أن تأثيرنا لا ينبع فقط من

(١) التريليون هو ألف بليون ، أي مليون مليون .

جرائم أمريكا والغرب

لقوتين العسكرية والاقتصادية ، ولكن أيضاً من الإعجاب بمبادئنا ومثلنا ، فنحن لبلد الوحيد في تاريخ العالم الذي رفع اسمه بقوة مبادئه وليس بقوة سلاحه .

وفي الحقيقة فإن نيكسون هنا يصل إلى درجة لا تطاق من الكذب والنفاق ، بالحقيقة أن اسم أمريكا لم يرتفع بقوة مبادئها بل ارتفع على جماجم الشعوب ونهب نرواتها ، وإعجاب نيكسون بمبادئ ومثل الولايات المتحدة جعله ينسى أنها قامت أساساً من خلال جريمة إبادة شعب أمريكا الأصلي وهم الهنود الحمر ، فالذين أقاموا أمريكا من أجداده ذبحوا ما لا يقل عن ١٠٠ مليون هندي وهو عدد لو ترك حتى الآن لكان يساوي ٥٠٠ مليون على الأقل ، أي أن كل فرد في أمريكا الآن لكي يوجد فيها جاء على جثة شخص من الهنود الحمر ، ومبادئ الحرية وعدم الاعتداء التي يتحدث عنها نيكسون تتجاهل بالطبع ما قامت به أمريكا من عشرات الاعتداءات على لبنان وجرينادا وفلسطين من خلال دعم اليهود والاعتداء على ليبيا والعراق وبنا والقائمة طويلة جداً .

على أي حال يعود نيكسون في رسم خطته لتحقيق هدف أمريكا في الانفراد النهائي بقيادة العالم ، ويقول : إن على أمريكا أن تجدد قوتها حتى تستطيع ذلك وينصح الأمريكان بالابتعاد عن العزلة وضرورة التصدي لمهمتهم الحضارية في قيادة العالم .

ويذكر نيكسون الكثير من المغالطات حول الدور الأمريكي في تحرير العالم ويذكر الأمثلة على ذلك ! ثم يتباهى قائلاً : « إننا مثاليون ، والمثالية ^(١) كانت دائماً مصدر قوتنا وفي الوقت نفسه نقطة ضعفنا ، وقد كانت مثاليتنا هي السبب الرئيسي في تأرجح سياستنا الخارجية بين الدفاع المستميت عنها أو الابتعاد والانعزال عن

(١) مثالية ازدواج المعايير !

جرائم أمريكا والغرب

العالم الخارجي لولا أننا كنا مضطرين لمجابهة الأمر الواقع وعندما امتزجت مثاليتنا بالحقائق المجردة فإنها تركت سجلاً^(١) في قيادة العالم لم تتركه دولة في الحاضر أو في الماضي .

ثم يفرك نيكسون يديه فرحاً قائلاً : « إن انهيار الشيوعية يمثل أقصى انتصار للمبادئ الأمريكية »^(٢) .

ويحدد نيكسون أن المطلوب من العالم إتباع أمريكا قائلاً :
« هل تستطيع الولايات المتحدة أن تقوم بدور القيادة للعالم ؟ » ويحيب قائلاً :
« الجواب بكلمة واحدة وهي نعم .. ويمكن للعالم أن يتبع خطانا .. »

ويحدد نيكسون القيم الأمريكية بأنها جزء من القيم الحضارية الغربية قائلاً :
« إن الحضارة الغربية ليست شكلاً ظاهرياً فقط ولكنها أسلوب ... إنها الأسلوب الذي نتجه به إلى آفاق الحرية والابتكار وتحقيق الأهداف » . ويكذب نيكسون مرة أخرى قائلاً : « تمثل أمريكا ثلاث قيم لها أهمية كبرى هي الحرية ، الفرصة المتاحة ، احترام الإنسان لذاته » .

ثم يختم نيكسون كتابه قائلاً :
« نحن لسنا مجرد ركاب في قطار التاريخ بل نحن قاداته ولدينا الفرصة لشكل قرناً أمريكياً ثانياً ، علينا أن ننتهز الفرصة ليس فقط لأنفسنا ولكن أيضاً لغيرنا » .



(١) انهيار الشيوعية جاء بسبب فسادها ولا يعني صلاحية المبادئ الأمريكية بل يعني ضمناً فسادها أيضاً لأنها نبتا من نفس الأرضية الثقافية وهي الأرضية الثقافية للحضارة الغربية .

(٢) السجل حافل بالجرائم يا عم نيكسون !

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

أمريكا كما يراها مفكر أمريكي

كتاب « ماذا يريد العم سام »

نعوم تشومسكي

أمريكا كما يراها
مفكر أمريكي

كتاب « ماذا يريد العم سام »

نعوم تشومسكي



oboiikan.com

لإطلاق ، وهو عالم لغويات مرموق وأستاذ جامعي متميز ، وتدرس أبحاثه في
لعديد من الجامعات داخل أمريكا وخارجها ، وبرغم أنه أمريكي الجنسية ، إلا أن
ه موقفًا نقديًا ومعارضًا للممارسات والسياسات الأمريكية على مستوى العالم .

وهو أيضاً - وهذا أمر مثير للاهتمام - يهودي الديانة ، ولكنه أيضاً من أعلى
لأصوات داخل أمريكا وخارجها انتقادا للسياسة الإسرائيلية .

ولا يعنينا بالطبع هنا مناقشة موقف الرجل من إسرائيل ، وإن كان موقفاً
يستحق الاهتمام في مكان آخر ، ولكن يعنينا هنا أنه شهادة على أمريكا من أهلها .

والكتاب الذي نحن بصدده هو كتاب « ماذا يريد العم سام » ، وهو من
إصدارات دار الشروق - القاهرة عام ١٩٩٨ .

والكتاب يضم أربعة أبواب وهي :

الأهداف الخارجية للسياسة الأمريكية ، التدمير في الخارج ، غسيل المخ ،
المستقبل .

ويرصد نعوم تشومسكي عدداً من الوثائق عن الساسة الأمريكيين ، مخططي
سياسة الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية .

فـرئيس مخططي وزارة الخارجية الأمريكية حتى عام ١٩٥٠ « جورج كينان »
كتب في مذكرة رقم ٢٣ سنة ١٩٤٨ الخاصة بالتصور الأمريكي لتشكيل عالم ما
بعد الحرب العالمية الثانية يقول : « عندنا ٥٠ ٪ من ثروات العالم ، فقط ٦,٣ ٪
من سكانه وبمثل هذا الوضع فإن مهمتنا الحقيقية في الفترة القادمة هي ترتيب
نموذج للعلاقات يحافظ على استمرار ذلك التفاوت ولتحقيق ذلك سيكون علينا
التخلي عن العواطف والأهداف المبهمة مثل حقوق الإنسان ورفع مستوى المعيشة
والتحول للديموقراطية ، ولن يكون اليوم الذي نضطر فيه للتعامل بمنطق القوة

بعيداً» .

وعلى المنوال نفسه نبه كينان إلى الوسائل التي يتعين استخدامها فقال :

« علينا ألا نتردد إزاء استخدام الحكومة المحلية لشرطتها لسلاح القمع ، فليس في ذلك ما يسبب الخجل » .

ويعلق تشومسكي على ذلك قائلاً : « بناء على ذلك المضمون العملي مع مسائل أخرى غزا الرئيس ويلسون هايتي وجمهورية الدومينيكان فقتل محاربوه وخربوا ودمروا النظام السياسي وأحكموا قبضة المؤسسات الأمريكية على البلدين وهبأوا المسرح السياسي في كل منهما لدكتاتورية وحشية فاسدة » .

ونستمر مع جورج كينان ليرسم لنا رؤية أمريكا الاقتصادية للعالم حيث يقول : « على الدول الصناعية مثل ألمانيا واليابان أن تصبح الورش العظيمة للعمل تحت إشرافنا ، أما دول العالم الثالث فعليها أن تكون مصدر إمداد لنا بال خامات وتمثل أيضاً أسواقاً لبيع المنتجات المصنعة وأن تستغل أيضاً لإعادة بناء أوروبا واليابان » .

ويرصد تشومسكي العديد من الممارسات الأمريكية المعادية للديمقراطية ، فالولايات المتحدة تكفلت - بنفسها - بالقضاء على القوى المعادية للفاشية ، بل واستخدمت الفاشيين والنازيين في تمرير سياستها ، فعين الرئيس روزفلت مثلاً عام ١٩٤٢ الأدميرال الفرنسي « جان دارلان » حاكماً عاماً على شمال أفريقيا الفرنسي ، وهذا الجنرال هو من المتعاونين مع النازي ، وفي إيطاليا تم فرض حكومات استبدادية مباشرة ، أو تم التلاعب في الانتخابات ، وفي اليونان دعمت الولايات المتحدة حرباً راح ضحيتها ١٦٠ ألف قتيل لفرض نظام حكم فاسد ، وكذلك اتبع ريجمان النموذج نفسه في أمريكا الوسطى وأماكن أخرى ، ويمكن أن نرصد الممارسات الأمريكية الداعمة للفاشية والدكتاتورية في كل من كوريا وفنزويلا

وكولومبيا وجواتيمالا ، وبفضل دعم الولايات المتحدة الأمريكية للمتعاونين مع النازي سابقاً، فإن هؤلاء أصبحوا مستشارين عسكريين لحكومات الدول البوليسية التي أقامتها الولايات المتحدة الأمريكية في أمريكا اللاتينية على غرار الرايخ الثالث ، بل وأصبحوا جزءاً من تجارة المخدرات والسلاح بإشراف أمريكي مباشر في تلك المناطق .

ويقول نعوم تشومسكي : « إن الولايات المتحدة الأمريكية اعتبرت أن التهديد الرئيسي لنظام العالم الجديد تحت قيادة أمريكا يأتي من الوطنيين في العالم الثالث ومن الأنظمة الوطنية التي تريد تحسين مستويات المعيشة وتلبية رغبات شعوبها ، وأكد المخططون للسياسة الأمريكية على ضرورة منع وصول الوطنيين إلى السلطة وإذا ما وصلوا يتم عزلهم وتنصيب حكومات عميلة تفضل الاستثمار الأجنبي ، بل يجب التحالف مع العسكريين الموالين لأمريكا لسحق أية نزعات وطنية ، وفي دراسة صادرة عن معهد لندن للشئون الدولية عن نظام العلاقات الأمريكية الدولية فإن الولايات المتحدة تلتزم حقيقة بمصالحها ، وهي عندما تتعرض مصالح المستثمرين الأمريكيين للتهديد فعلى الديمقراطية أن ترحل ولا بأس أن يحل محلها حكم التعذيب والقتل » .

وهكذا دعمت الولايات المتحدة الأمريكية الديكتاتورية وأسقطت حكومات برلمانية في إيران ١٩٥٣ ، وفي جواتيمالا ١٩٥٤ ، وكذلك في ١٩٦٣ ، وفي الدومينيكان عامي ١٩٦٣ ، ١٩٦٥ وفي البرازيل ١٩٦٤ ، وشيلي ١٩٧٣ وفي كل المناطق تقريباً من العالم .

ويقول تشومسكي : « لم يكن عمل القوات الأمريكية في هذه البلدان وغيرها هو القتل العادي ، لكن كان بصفة أساسية هو القسوة والتعذيب ، قطع رؤوس الناس وتعليقها على خوازيق ، رطم الأطفال بالحوائط ، قطع أئداء النساء وتعليقهن من أقدامهن ، وليس هناك استثناء من هذه القاعدة ، فلا يهم إن كانت الدولة المستهدفة

مهمة أو غنية أو قومية ، بل يحدث ذلك في كل مكان . وكمثال في دولة صغيرة فقيرة مثل لاوس في الستينيات ، كانت أفقر دولة ، وما أن شرعت في تحقيق بعض الإصلاح حتى قصفتها واشنطن بسيل متدفق من القنابل ، وكذلك في جرينادا البلد الصغير الذي يقطنه أقل من المليون بكثير ما إن شرعت في الإصلاح الاجتماعي حتى سارعت واشنطن بضربها وتأييد أهلها .

ويصدق هذا أيضاً على السلفادور ونيكاراجوا ، وفيتنام وكمبوديا ، ولاوس ، وبناما وليبيا ، والسودان وشيلي .

وعن حقوق الإنسان ينقل نغوم تشومسكي عن دراسة قام بها لارس شولتز الأكاديمي البارز والمتخصص في حقوق الإنسان - إن المساعدات الأمريكية تميل للزيادة مع الحكومات التي تمارس التعذيب مع مواطنيها ، وكشفت دراسة أوسع للاقتصاديين « ادوارد هرمان » عن تلازم وثيق بين التعذيب والمساعدات الأمريكية .

أما عن رفع مستوى المعيشة التي تزعم أمريكا اهتمامها به ، فإن العكس هو الصحيح دائماً ، فأمريكا تشجع نمط التنمية الذي يحترم مصالح المستثمرين الأمريكيين ، وأن الدول التي تحاول التنمية المستقلة تجابه بالعداء والعنف الأمريكي .

ولا يقتصر التدخل الأمريكي هنا على القوات العسكرية فقط ، والتي حدث منها ما يكفي لاتهام كل الرؤساء الأمريكيين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بأنهم مجرمو حرب بل هناك وسائل أكثر تعقيداً مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ، فالبنك الدولي مثلاً قدم القروض مقابل سياسة تحرير الاقتصاد أي تهيئة الاقتصاد الوطني لاختراق المال الأجنبي وتحكمه فيه مع تخفيضات حادة في خدمة المجتمع ، ويكرس هذا تقسيم المجتمع إلى أقلية ثرية وأكثرية تعاني الحرمان والفقر المدقع .

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

أمريكا كما يراها
مفكر عربي



oboiikan.com

جرائم أمريكا والغرب

الولايات المتحدة الأمريكية^(١) واستطاع أن يدرس حقيقتها من الداخل ، وكذا فإنه من أهم المفكرين العرب الذين درسوا الحضارة الغربية دراسة علمية نقدية ، وبالتالي فإن آراء الدكتور المسيري في أمريكا آراء لها وجاقتها وأهميتها ، وسواء اتفقت أو اختلفت معه في هذا الرأي أو ذاك إلا أنه يعد مفتاحاً مهماً لفهم أمريكا وبالتالي وضع التصور الصحيح لمواجهتها . وللدكتور عبد الوهاب المسيري كتاب مهم في هذا الصدد هو « الفردوس الأرضي - دراسات وانطباعات عن الحضارة الأمريكية الحديثة » صادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت - ١٩٧٩ .

واستطاع الدكتور المسيري أن يحدد لنا رؤية الأمريكيين أنفسهم لأمريكا ، ومبرراتهم لوجودها ، وكذا فلسفتهم في إبادة شعبها الأصلي الهنود الحمر ، وتطابق الرؤية الأمريكية مع الرؤية الإسرائيلية في الكثير من القضايا التاريخية والفلسفية ، فالشاعر الأمريكي والت وايتمان وهو شاعر الديموقراطية الأمريكية في القرن التاسع عشر كان يرى أن كل تاريخ العالم لم يكن سوى هراء ووهم وأنه كان مجرد تمهيد لظهور أمريكا .

والأمريكان مثل الإسرائيليين استخدموا العلامات الدينية لتبرير كل أعمالهم العدوانية من إبادة للهنود الحمر واحتلال لأراضي الغير ، والمفكر الأمريكي « أوسوليفان » كان يسمى إبادة الهنود الحمر والتوسع الأمريكي أنه « رؤية عذبة » و « قدر جلي » ، وهو قدر لأنه مكتوب على الأمريكيين ذوي الرسالة الخالدة ، وهو جلي لأنه واضح للعيان ولا جدال فيه ، وحتى الآن لا نعدم أن نجد من يستخدم هذه النعمة الدينية التبريرية مثل الكاردينال سبيلمان الذي كان يسمى الجنود

(١) عاش فيها من عام ١٩٦٣ إلى عام ١٩٦٩ ثم من عام ١٩٧١ وهو يتردد عليها ويتابع أفكارها باستمرار .

الأمريكان في فيتنام « جنود المسيح » ومثل الجنرال الأمريكي الذي دمر قرية فيتنامية « كي ينقذها » ، وهو هنا مثل الجنرال الإسرائيلي لديه إحساس بأنه صاحب رسالة خاصة وأنه قد اختير لتنفيذها ، ولذلك فهو يقوم بالتخريب والتدمير والفتح والغزو في منتهى البراءة ودون أن يهتز له جفن .

ويرى الدكتور عبد الوهاب المسيري أن كلاً من الأمريكي والإسرائيلي يعتقد أن قمة الفعل هو دائماً ذبح الخصم ، وأن نقطة التشابه الأساسية بين الوجدانين الأمريكي والصهيوني هو العنف العنصري ، وأن العالم الجديد لا يمكن تشييده إلا عن طريق العنف والإبادة : « إبادة الهنود الحمر والفلسطينيين » - ويجب أن نضع في اعتبارنا أنه من اليسير على الشعب الأمريكي فهم العقلية الإسرائيلية والتعاطف مع الشعب الإسرائيلي وقيمه اللاأخلاقية من عنصرية وعنف نظراً للتشابه بين وجدان الشعبين .

والمجتمع الأمريكي كما يرى الدكتور عبد الوهاب المسيري مجتمع ذرائعي - براجماتي (عملي نفعي) - لا يشغل نفسه إلا بما يزيد من راحته وهوائه الماديين ، فليس هناك أعلى ولا أسفل ولا يمين ولا يسار والروح تساوي الجسد ، والجميل لا يختلف عن القبيح ، والجاهل لا يختلف في عمله وحكمته عن العالم ، فالمعيار الوحيد هو النجاح ، ولا فرق بين الحياة والموت أو حتى بين الإنسان والحيوان .

والإنسان الأمريكي يسقط الخلفية التاريخية تماماً وإذا أبقاها فهي تظل على مستوى الحد الأدنى أو القشرة أو من قبيل الديكور (الزينة) ليس إلا ، وفي داخل هذا الإطار الفلسفي لا بد وأن ينشأ نمط إنساني يجسد هذه الصفات التي هي من وجهة نظر هذا الإنسان لا هي بالذائل ولا بالفضائل لأنها قانون طبيعي يعلو على الخير والشر إن أردنا استخدام المصطلح النيتشوي ، وهذه الشخصية هي الرائد

الأمريكي أو « الكابوي » المؤمن بقدراته الخارقة للعادة على إخضاع أي شيء وعلى غزو البرية ، والرجل الأمريكي « الأبيض » هو (البراجماتي) بالدرجة الأولى (والسوبر مان) (الإنسان الخارق) الحق (والكابوي) الذي لا يهاب شيئاً ، ويخاطر بكل شيء فيربح كل شيء أو يفقد كل شيء ، ولكننا لو تعمقنا قليلاً في هذه البنية الداروينية النيتشوية لنصل إلى أساسها الاقتصادي لوصلنا إلى شخصية التاجر ، فالرائد هو التاجر الأعظم الذي يتاجر بكل شيء ويخاطر بكل شيء حتى حياته وجسده ، بل انه يكاد يقترب من العاهرة في هذا ، فالعاهرة هي الإنسان - السلعة - التي تصل إلى متهى التموضع والانحراف الكامل عن الذات الإنسانية حيث يدخل الإنسان في علاقة موضوعية كاملة مع الآخرين ليس فيها خير ولا شر ويكون هو نفسه الذات الخلاقة ، الموضوع الذي يستهلك ، وتكون الذات الأخرى موضوعاً آخر باعتبار أنه مصدر للمال وحسب الرائد يترك تاريخه وتراثه وقيمته وأسرته ويحمل مسدسه وجسده ليدخل في صراع مع الآخرين يكون هو الصائد أو الفريسة ، وفي هذا الإطار يمكننا أن نفهم الجوهر الرأسمالي الكامن وراء عبارات براجمانية نشطة مثل « المخاطرة » « الممارسة الحرة » و « الحرية الكاملة » وغيرها من المصطلحات ذات الطابع الأمريكي ، والسوق هو الذي يحدد كل القيم حسب دوراته اللامتناهية وحسبها تمليه قوانين العرض والطلب الذي لا يمكن لإنسان التحكم فيها ، والرأسمالية تظل منفصلة عن فكرة القيمة ومرتبطة بفكرة الثمن والعرض والطلب وهذا يفسر إيمان الأمريكي المجنون بفكرة الربح دائماً ، وبأي وسيلة ونحو أي اتجاه وبغض النظر عن مقدار البؤس الذي يحيق بالبشر ، وبهذا المنطق تعامل الأمريكي مع صاحب البلاد الأصلي « الهنود الحمر » ، فالهندي الأحمر من وجهة نظره كائن لا تحده حدود تاريخية أو إنسانية ويمكن اصطياده كالفريسة

دون أي هلع أو وجل أخلاقيين .

والبراجماتية الأمريكية أكثر اتساعاً من حدود البراجماتية الصهيونية مثلاً ، فالأولى يحكمها قانون واقعي ، وهو قانون ضيق وغبي ، ولكنه في النهاية قانون . أما البراجماتية الصهيونية فهي مزيج فريد شاذ بين العقليتين العملية والغيبية التلمودية .

والأمريكي يستهلك دون تساؤل ، وهو لا يستفسر أبداً عما إذا كان هذا الاستهلاك الغبي سيؤدي إلى سعادته الفردية أم لا ؛ فالسعادة الإنسانية ليست هي الهدف ، وهذا الإطار قد جعل من الأمريكي فريسة سهلة لسعار الحضارة الاستهلاكية ، وحتى تضمن الاحتكارات الأمريكية أن يظل المواطن الأمريكي غارقاً في السلع والمادة وفي حالة غيبوبة إنسانية كاملة فإنها تطلق عليه سيلاً من الإعلانات الرائعة !! ، وعالم السلع لا يغزو الإنسان الأمريكي من الخارج فحسب بل يغزوه ويقمع إنسانيته من الداخل ، وفي أمريكا فإن الدين الوحيد هو التحليل النفسي ، فمن وجهة نظر سيكولوجية ليبرالية نفسية متحررة غير تقليدية لا يمكنك أن تصدر أحكاماً أخلاقية أو فلسفية من أي نوع على أي فرد : فغاية المجتمع هو إراحة أعضائه نفسياً عن طريق تدريبهم على فن التأقلم مع الواقع كما هو وتحقيق الثقة والطمأنينة الكاملتين في النفس « وهي نفس ليس لها وجود حقيقي لأنها متأقلمة مع الواقع مندمجة فيه منسجمة معه ومنه ، والدين يصبح انجاً والاتجار ديناً ، وهذا الضرب من التدين التجاري الذي يرى أن الإيمان تجارة مربحة يقبض ريعها ويحول التجربة الروحية إلى شيء كمي يمكن أن يقاس ويحسب بالمليم ، والمسيح بالنسبة للأمريكي هو الساحر الطبيب القادر على القيام بالحيل وعلى الإتيان بالشفاء العاجل ، أما المغزي الروحي الإنساني المهم لحياته وآلامه فهذا ما لا يمكنهم إدراكه ، والأمريكي يريد من المسيح الخلاص العذري المريح ، لأنه أي الأمريكي على عجلة

من أمره ، والمسيح بالنسبة للأمريكي أيضاً نجم أعظم وتكئة لتحقيق الأهداف العملية المباشرة ، وحتى الحواريين يرون المسيح على أنه طريق إلى الشهرة والخلود .

وبما أن المجتمع الأمريكي براجماتي ولا أخلاقي وباحث عن الربح والمنفعة بأي ثمن ، فإن المرأة الأمريكية مثل المهاجرين الجدد والزواج وغيرهم تدفع الثمن ، فالنظام الرأسمالي يحتاج إلى عمالة فائضة دائماً « نوع من البروليتاريا (الطبقة لعمالية) السائلة غير مرتبطة بوظيفة محددة وعلى استعداد للعمل في أي مكان وفي أي وقت دون أن تصبح جزءاً عضوياً من عملية الإنتاج نفسها ، أي أنها تظل دائماً خارج الإنتاج وداخله في نفس الوقت » ، ووجود مثل هذه العمالة السائلة مهم وضروري من وجهة نظر الرأسمالية لسبيين :

أولاً : للضغط على العمال ، وثانياً : لتمكين الرأسماليين من نقل رأسمالهم من استثمار ووجود فائض دائم من العمال يمكن الرأسمالي من استثمار أي عدد من العمال في أي وقت ، فلو تحققت العمالة الكاملة لأصبحت حركة النظام بطيئة للغاية ، يقوم المهاجرون الجدد والزواج بسد حاجة الرأسمالية الأمريكية في هذا المجال ولكنهم من وجهة نظر الرأسمالية يعدون متخلفين نوعاً ما ؛ لأن خلفيتهم الحضارية تعوقهم عن التأقلم السريع مع النظام وعن الإسهام الكفء في عملية الإنتاج ، كما أنهم لا يمكنهم القيام ببعض الأعمال الفنية .

ومن هنا تكون أكثر من فريق للعمالة الفائضة في الولايات : واحد لمختلف الأعمال اليدوية وقوامه المهاجرين والزواج ، والآخر للأعمال المتقدمة نوعاً مثل لسكرتارية والخدمات الاجتماعية وبعض الأعمال الإدارية وبعض الأعمال لصناعية الخفيفة وقوامه من السيدات ، وهذه العمالة الفائضة تكتسب أهمية خاصة أثناء الحروب المحدودة التي تخوضها أمريكا حيث تحل السيدات محل المحاربين .

وبهذا المعنى تكون سيدات أمريكا أقلية مستقلة مضطهدة اقتصادياً .

وإذا أخذنا سلم الاضطهاد كمعيار نجد أن المرأة الزنجية هي أكبر ضحية للاضطهاد الرأسمالي الأمريكي ، فالاضطهاد هنا ليس جنسياً فقط ، ولكن جنسي عنصري طبقي ، فالأمريكان البيض الرجال هم الطبقة الأعلى صعباً .

وهناك قصيدة كتبتها امرأة أمريكية تعبر عن هذه الحالة تقول القصيدة :

الفتاة الجميلة كالسلعة

تباع وتشتري مع أسهم الشركات

الفتاة الجميلة في هذا المجتمع

يحكم عليها حسب المظهر

وحسب ما ترى على وجهها

يكون في الغالب بقايا المواد الكيميائية

التي يستخدمونها في الحروب .

وهذا البيت الأخير يدل على أن ثمة تكاملاً في بنية المجتمع الأمريكي المسئول عن إنتاج النابالم ومساحيق التجميل ، ففي كلتا الحالتين نجد أن الهدف من عملية الإنتاج هو الإنتاج ذاته بحيث يدخل المجتمع دائرة الإنتاج الآخذة في الاتساع اللانهائي ولضمان هذا تدخل الرأسمالية في حروب تستهلك فيها آلاف الدبابات والطائرات والغازات السامة ، أو تغرى الآخرين بدخولها وبالتالي استيراد هذه السلع ، وتدخل الرأسمالية أيضاً حروباً داخلية مع الناس ، وبالذات المرأة لتستهلك فيها السيارات والمساحيق والثلاجات والاستقرار النفسي .



■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

التحالف العنصري
بين
أمريكا وإسرائيل



oboiikan.com

يلخص الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون في كتابه « الفرصة السانحة » الموقف الأمريكي تجاه إسرائيل قائلاً :

« إنني أتذكر بوضوح اجتماعاً حدث في عام ١٩٧٣ مع المسؤولين بخصوص حرب الشرق الأوسط ، وكانت في بدايتها ولم تكن هذه البداية في صالح إسرائيل ، وعندما سأل أحد أعضاء الكونجرس إذا كانت الولايات المتحدة ستتخذ أي إجراء في هذا الشأن أجبت بلا مواربة « ليس هناك رئيس أمريكي يمكنه أن يسمح بتصفية إسرائيل » ... وأمر عندئذ بعمل جسر جوي ليدفع عن إسرائيل الهزيمة . وعلينا لأن أن نسأل أنفسنا سؤالاً عن مدى أهمية إسرائيل بالنسبة لأمريكا لدرجة أنه ليس هناك رئيس أمريكي يمكنه أن يسمح بتصفية إسرائيل ، ولدرجة أن يقوم الرئيس الأمريكي نيكسون في ذلك الوقت عام ١٩٧٣ بمد جسر جوي لنقل السلاح من لمخازن الاستراتيجية للجيش الأمريكي لحماية إسرائيل !؟

هل أهمية إسرائيل هنا جيوبوليتيكية (سياسية من حيث الموقع الجغرافي) مثلاً ، أم أن هناك تحالفاً بين أمريكا وإسرائيل لأسباب أخرى ليست سياسية وغير عسكرية في جوهرها وليست بسبب أهمية أو عدم أهمية إسرائيل بالنسبة لأمريكا ، لنترك أيضاً الرئيس الأمريكي الأسبق يجيب عن السؤال يقول نيكسون : « إن التزاماتنا تجاه إسرائيل عميقة جداً ، فنحن لسنا مجرد حلفاء ولكننا مرتبطون ببعضنا بأكثر مما يعنيه الورق ، نحن مرتبطون معهم ارتباطاً أخلاقياً ، إن إسرائيل ليست مكسباً استراتيجياً للولايات المتحدة ، بخلاف الرأي السائد في هذا الشأن . إن تعاوننا في أجهزة المخابرات والمناورات الحربية مهم ولكنه ليس حيويًا ، لقد أثبتت الجيوش الإسرائيلية حقاً كفاءتها في الحروب إلا أن تأثير إسرائيل محدود في المنطقة ، ولكن التزامنا تجاهها ينبع من ميراث قديم ، فلن نستطيع . رئيس أمريكي أو كونجرس أن يسمح بتدمير إسرائيل » .

جرائر أمريكا والغرب

وإسرائيل هذه التي لا تمثل أي مكسب استراتيجي للولايات المتحدة لا يستطيع لا الرئيس ولا الكونجرس التخلي عنها ، وهي التي اعترفت بها أمريكا بعد دقائق من قيامها ! وهي التي أسهم الغرب عمومًا وأمريكا خاصة في قيامها واستمرارها وتوسعها ، وإسرائيل تحصل على ما تريد من السلاح ومن المواقف السياسية والفيتو وغيرها من أمريكا بدون تحفظ ، وقد حصلت إسرائيل من أمريكا منذ ١٩٧٤ حتى ١٩٨٩ على حوالي ٤٩ مليار دولار كمعونة ، وحصلت على ١٦,٤ بليون دولار على هيئة قروض من عام ١٩٧٤ إلى عام ١٩٨٩ ثم تحولت هذه القروض بعد ذلك إلى منح لا ترد ، ناهيك عن المعونات غير الحكومية ، أو ضمانات القروض الحكومية أو التي تقوم بها البنوك الأمريكية لصالح إسرائيل .

وأمريكا التي لا تطبق أن ترى مصنعًا للكيماويات في العالم العربي حتى ولو كان ينتج مبيدات للحشرات هي ذاتها التي تشجع وتساعد وتتجاهل قيام إسرائيل بصناعة القنابل النووية جميع أسلحة الدمار الشامل .

لماذا كل هذا الدعم والحماس لإسرائيل ، مع أنها على حد تعبير نيكسون ليست مكسبًا استراتيجيًا لأمريكا ؟

إن ذلك يرجع لسبب بسيط جدا وهو وجود تحالف عنصري بين اليهود والأمريكان والغرب موجه ضد المسلمين ، أي تحالف صليبي يهودي ضد الإسلام ، وذلك في إطار الصراع التاريخي بين الحضارة الإسلامية وبين الحضارة الغربية الصليبية ، بل إن هناك تفسيرًا صهيونيًا للمسيحية ينتشر بصورة متزايدة يومًا بعد يوم خاصة في أوساط البروتستانت ، ويقول هذا التفسير : إن دعم إقامة إسرائيل وتحقيق إمبراطوريتها من النيل إلى الفرات هو واجب مسيحي ؛ لأن هذا الوجود والتوسع الإسرائيلي شرط لظهور المسيح في فلسطين وقيامه بقيادة الجيوش المسيحية

في معركة ضد الكفار « المسلمين » وهي المعركة المذكورة في الإنجيل :

« المحرف طبعاً » تحت اسم معركة « هر مجدون » أما على مستوى المسيحيين الكاثوليك ، فإن الموالاتة والتحالف مع اليهود يشق طريقه الآن على قدم وساق ، فابا الفاتيكان مثلاً - وعلى خلاف كل التراث الكاثوليكي - أعلن تبرئة اليهود من دم المسيح حسب معتقدتهم !

وبابا الفاتيكان نفسه يعلن الآن أنه لا يمانع في الاعتراف بالقدس عاصمة موحدة لإسرائيل بشرط حرية زيارة الأماكن المقدسة ، حتى أسبانيا التي طردت اليهود مع مسلمين منذ ٥٠٠ عام اعتذرت رسمياً عن ذلك لليهود .

وعلى أية حال ، التحالف المسيحي اليهودي أمر جديد ولم يحدث إلا في القرون الأخيرة ، لأن التاريخ بين اليهود والمسيحيين تاريخ مفعم بالصدام ، ولقد تعرض اليهود للعديد من المذابح والاضطهادات الدينية المسيحية في كل الدول المسيحية الأوروبية بدون استثناء على أن هذا التحالف الجديد ، كان قد تنبأ به القرآن الكريم منذ أكثر من ١٤٠٠ عام ، وهذا نوع من الإعجاز القرآني :

يقول الله تعالى في كتابه الكريم وهو أصدق القائلين : ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة] .

ونظراً لأنه كان هناك عداً مستمر واضطهاد من المسيحيين لليهود على طول التاريخ فإن المفسرين القدماء كانوا يفسرون هذه الآية في إطار أن الكفر ملة واحدة ، أي تفسيراً إجمالياً دون أن يجدوا أو يذكروا تفاصيل محددة لهذه الموالاتة ، أما الآن فقد تحققت هذه النبوءة القرآنية خاصة بعد دعم قيام إسرائيل من الغرب المسيحي واستمرار هذه الموالاتة والدعم بين الطرفين في أكثر من مجال ... وبذلك تحققت

النبوءة القرآنية بصورة محددة وتفصيلية وهذا من إعجاز القرآن الكريم .

أما موقفنا الآن كمسلمين من هذه المواقفة بين اليهود والنصارى ؛ فيحددها الله تعالى لنا من خلال القرآن الكريم أيضاً في هذه الآية وما بعدها : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ ... و ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَهُمْ﴾ ... و ﴿فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢]

أي هؤلاء الذين يقولون الآن نحن لا نستطيع مواجهة أمريكا ولا إسرائيل ونخشى أن يدمرونا بأسلحتهم !



■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

■ إسرائيل

مفرزة أمريكية متقدمة

■ وإسرائيل

وكيل عن الاستعمار الغربي
والأمريكي



oboiikan.com

جرائم أمريكا والغرب

للمسيحيون .. الأولى : ترى أنه جزء من مشروع الهيمنة الغربي على المنطقة في إطار الصراع الحضاري ، والثانية : ترى أن المجتمع الصهيوني مجتمع توراتي ديني قائم على الأسطورة الدينية وأن اليهود بها لهم من نفوذ مالي وإعلامي وغيره نجحوا في السيطرة على صناعة القرار الغربي فحصلوا على الدعم اللازم لمشروعهم .

والحقيقة إنه بشيء من التركيب يمكن أن نجد أن للمفهومين أصلهما التاريخي والواقعي ، فالكيان الصهيوني نشأ أصلاً عن رغبة غربية استعمارية لإقامة كيان أو مجموعة وظيفية في هذه البقعة الحساسة من قلب العالم العربي والإسلامي كجزء من مشروع الهيمنة الغربية على المنطقة ، وكحلقة من حلقات الصراع الحضاري بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية ؛ وتلاقت هذه الرغبة الاستعمارية أو غدت مفهوم الحلم والأسطورة المزيفة لدى اليهود عن حق العودة إلى فلسطين وإقامة وطن قومي لهم على أساس التفسير المحرف للتوراة المحرفة أصلاً ، أو على أساس الدعاية الدينية اليهودية لجمع يهود العالم في هذه البقعة ، وفي الحقيقة فإن الرغبتين والمصلحتين التقتا في لحظة تاريخية تمخض عنها قيام هذا الكيان ، ويجب هنا أن ندرك أن هناك وجداناً غربياً كارهاً ومعادياً لليهود أصلاً ، ومارس الاضطهاد بحقهم طويلاً ، وبذلك فإن إقامة وطن قومي لهم ، يحقق هدفين ، الأول : هو التخلص من اليهود كزبالة بشرية غير مرغوب فيها في الغرب ، ويحقق ثانياً : الاستفادة من هذا الكيان في تحقيق الأهداف الاستعمارية والكيد للحضارة الإسلامية وتمزيق وحدة المنطقة ومنع نهوضها أو تطورها واستمرار نهجها .

إذن فالكيان الصهيوني هو مشروع غربي في الأساس تمت صياغته داخل أروقة المؤسسات الاستعمارية الغربية قبل أن يفكر فيه هرتزل بفترة طويلة ، فهناك على سبيل المثال لا الحصر نداء نابليون بونابرت إلى يهود العالم من أجل إعادة إنشاء

جرائم أمريكا والغرب

مملكة القدس القديمة « سنة ١٧٩٩ » في إطار المشروع الاستعماري في الشرق الذي كان يحلم به نابليون وهناك دعوة الرئيس الأمريكي جون آدامز إلى استعادة اليهود لفلسطين « سنة ١٨١٨ » وهناك مذكرة سكرتير البحرية الإنجليزية إلى وزير الخارجية بالمرستون التي يقترح فيها دعوة أوروبا إلى إعادة اليهود إلى فلسطين « عام ١٨٣٩ » وهناك برنامج اللورد سافنبري إلى مؤتمر لندن بشأن توطین اليهود في فلسطين « سنة ١٨٤٠ » ، وهناك مشروع إدوارد متنورد لإقامة دولة يهودية متكاملة في فلسطين تحت الحماية الإنجليزية المؤقتة إلى أن تتمكن هذه الدولة من الوقوف على قدميها « سنة ١٨٤٥ » ، وهناك كتاب أرنست لاهان المستشار الخاص لنابليون الثالث في المسألة الشرقية « إعادة بناء أمة اليهود » « سنة ١٨٦٠ » وهناك كتاب « أرض جلناد » للورنس أوليفنت عضو البرلمان الإنجليزي ووزير الخارجية والذي يقترح فيه إقامة مستوطنة يهودية على مساحة ١,٥ مليون فدان في الأردن وفلسطين « عام ١٨٨٠ » ، ثم هناك تأسيس بلاكستون في شيكاغو لمنظمة البعثة العبرية نيابة عن إسرائيل من أجل حث اليهود على الهجرة إلى فلسطين ، ومذكرة بلاكستون إلى الرئيس الأمريكي بنيامين هاريسون ووزير خارجيته جيمس ين بإنشاء وطن قومي لليهود عام ١٨٩١ وصدور كتاب الدبلوماسي الإنجليزي وليمر هشر « إعادة اليهود إلى فلسطين » الصادر عام ١٨٩٤ ، كل هذا قبل صدور كتاب تيودور هرتزل « الدولة اليهودية » الذي صدر عام ١٨٩٦ .

وفي هذا الصدد يقول جمال حمدان في كتابه « استراتيجية الاستعمار والتحرير » ص ١٦٨ : « التقت الإمبريالية العالمية مع الصهيونية لقاء تاريخيا على طريق واحد هو المصلحة الاستعمارية المتبادلة ليكون الوطن اليهودي قاعدة تابعة وحليفا مضموناً أبداً يخدم مصالح الاستعمار ، وذلك ثمنا لخلق إياه رضائه لبقائه ، ويقول

أيضاً في الكتاب نفسه ص ١٧٦ : « الاستعمار هو الذي خلق إسرائيل بالسياسة والحرب وهو الذي يمدّها بكل وسائل الحياة من أسلحة وأموال وهو الذي يضمن بقاءها ويحميها علناً » .

ويؤكد روجيه جارودي على هذه الحقيقة أيضاً بقوله : « إن الأب الروحي للصهيونية تيودور هرتزل أشعل الرغبة الاستعمارية في خلق إسرائيل وقدم لها مبررات إقامة هذه الدولة على أساس أنه إذا قامت إحدى الدول الاستعمارية بحماية هذه الدولة اليهودية فسوف تتمتع بميزة على خصومها ، لأن هذه الدولة ستعتبر رأس حربة مغروسة في المنطقة من أجل التغلغل الاستعماري » . وكتب تيودور هرتزل سنة ١٨٩٥ في كتابه الدولة اليهودية قائلاً : « ستكون هذه الدولة بالنسبة إلى أوروبا متراساً ضد آسيا وستكون بمثابة الحصن المتقدم للحضارة ضد البربرية » .

وفي محاضرة لروجيه جارودي في ١٣ / ١٠ / ١٩٩٦ في فندق الماريوت بالقاهرة قال :

« إن إسرائيل ستلعب دوراً مهماً في المواجهة الحضارية بين العالم الغربي والعالم الإسلامي نظراً لموقعها الإستراتيجي في قلب العالم الإسلامي !

وإذا كانت هذه هي أهداف السياسة الاستعمارية من خلق إسرائيل لتكون وكيلاً للاستعمار الغربي وجماعة وظيفية لأداء وتنفيذ أهدافه ، فإن القادة الصهاينة لعبوا على تلك النقطة تجاه الرأي العام الغربي وقواه السياسية وأجهزته ومؤسساته الحاكمة ، وفي الوقت نفسه لعبوا على الأسطورة التاريخية لدى اليهود عن الوعد اتوراتي بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، وسواء كان هذا السلوك من قادة الصهاينة نوعاً من الدجل والدعاية أو يعبر عن اقتناعهم الحقيقي ، وسواء كان هؤلاء القادة الصهاينة ملحدين أو مؤمنين فإنهم عكسوا في سلوكهم وتصريحاتهم

وبنائهم للكيان الصهيوني تفسيرًا أسطوريًا توراتيًا - محرفًا بالطبع ومزيفًا وكاذبًا .

فجولد مائير زعيمة حزب العمل التاريخية في تصريح لها لصحيفة لوموند الفرنسية ١٥ / ٥ / ١٩٧١ تقول : « نشأ هذا البلد تنفيذًا لوعده الرب ذاته ، ولهذا لا يصح أن نسأله إيضاحًا عن شرعية هذا الوجود » .

ومناحم بيجين « ليكود » يصرح لصحيفة دافار الإسرائيلية ١٤ / ١٢ / ١٩٧٨ بقوله : « لقد وعدنا الرب هذه الأرض ولنا الحق فيها » .

أما موسى دايان « ملحد » فيقول : « إذا كنا نملك التوراة ، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فينبغي أن نمتلك أيضًا بلاد التوراة ، بلاد القضاة أرض أورشليم وحبرون وأريحا » جيروزاليم بوست ١٠ / ٨ / ١٩٦٧ .

وهكذا يتردد دائماً على ألسنة الزعماء الصهاينة المنطق نفسه سواء كانوا من اليمين أو اليسار أعضاء في حزب العمل أو في كتلة الليكود ، ناطقين باسم الجيش أو الحاخامية ، فالتوراة ترسم كل شيء في إسرائيل ، ترسم ثقافة الأطفال في المدارس ، فبناء على توجيه دافيد بن جوريون ؛ فإن الدين اليهودي في إسرائيل يدرس كمادة إجبارية في المدارس .

والزواج في إسرائيل زواج ديني ، ولا يوجد في إسرائيل دستور ؛ لأن التوراة هي القانون الأساسي للدولة ، والتوراة هي التي تعرف المواطن وتحدد من هو الإسرائيلي وهي ذاتها تحدد حدود الدولة ، بل وتبرر الحرب والإرهاب .

« علينا ألا ننسى أجزاء التوراة التي تبرر هذه الحرب ، فنحن نؤذي واجبنا الديني بتواجدنا ، هنا فالنص المكتوب يفرض علينا واجبًا دينيًا وهو أن نغزو أرض العدو » حاخام برتبة نقيب - هاآرتس ٥ / ٧ / ١٩٨٢ والمذابح من دير ياسين إلى صابرا وشاتيلا تبررها التوراة « وحرقوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل

جرائم أمريكا والغرب

« مسن وشيخ حتى البقر والحمير بحد السيف » سفر يشوع الإصحاح (آية ٢١).
وبالطبع فإن هذا الفهم للتوراة - وهي محرفة أصلاً - هو بدوره فهم مغلوط ،
الحديث عن الوعد الإلهي لبني إسرائيل في التوراة حديث مغلوط ، لأن اليهود
أولاً ليسوا هم أبناء اليهود الأوائل من ناحية ، فهم من يهود الخزر غالباً ، وحتى لو
مرض أنهم أبناؤهم فقد فقدوا أهليتهم بسبب عصيانهم التاريخي المستمر لأنبيائهم ،
وأنه بعد الإسلام بالذات فإن الأمة الإسلامية هي الأمة الرسالية ، ونحن بالتالي
أولى من اليهود بإبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى ويوشع وداود
وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى بن مريم عليهم السلام ، وأن هؤلاء الأنبياء
وغيرهم قد بايعوا « محمداً » الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء رحلة الإسراء
والمعراج عندما أمّهم في تلك الليلة في الصلاة في بيت المقدس ، وأن موسى وداود
وسليمان وغيرهم من أنبياء بني إسرائيل لو بعثوا اليوم ما كان بوسعهم إلا الدخول
في الإسلام ، باعتباره الدين الحق الخفيف الذي جاء به إبراهيم أصلاً من عند الله
وجاء به النبيون من قبله ومن بعده ، والذي جاء محمد (صلى الله عليه وسلم)
ليكون به خاتم الأنبياء ، وليكون المسلمون هم ورثة كل وعد إلهي .

والكيان اليهودي كيان عنصري ، فهو قائم في تعريف المواطنة ، وكذا في سلوكه
السياسي على فترة تجميع يهود العالم الذين يزعمون أنهم من أب واحد وكتلة مؤمنة
وديني واحد وأنهم شعب الله المختار وبقية العالم عبيد لهم ، والديموقراطية
الإسرائيلية لليهود فقط .

والكيان الإسرائيلي كيان عسكري وعدواني ، فإسرائيل تنفق ٥٠ ٪ من ميزانيتها
على الجيش ، والمؤسسة العسكرية تتحكم في كل شيء في إسرائيل تقريباً ، وعلى حد
تعبير بنيامين نتانياهو رئيس وزراء الكيان الصهيوني : « فإن القوة العسكرية مؤسسة

جرائمه أمريكا والغرب

لا بدليل عنها للمحافظة على أمن إسرائيل ونظريات السلام مع العرب ونظريات الخلاص اليهودي بالسلام يدلان على رؤية غير واقعية ، للواقع السياسي الإسرائيلي وعلى أحلام كاذبة تنبع من محاولة الهروب من الصراع المحتوم علينا ، نتيجة وجودنا كأمة بين الشعوب العربية « بنيامين نتيناهو - كتاب « مكان تحت الشمس » . وهكذا ، فالمفهوم الإسرائيلي للسلام يتلخص في التفوق العسكري والخضوع الكامل عسكرياً وسياسياً من جانب العرب للهيمنة الإسرائيلية ، وهذا بالطبع يستدعي استمرار وجود قوة عسكرية هائلة ، واستمرار توجيه ضربات إجهاضية لكل محاولة عربية لامتلاك القوة .

ولأن الكيان الصهيوني جماعة وظيفية أولاً لممارسة العدوان لحساب الاستعمار الغربي « الأمريكي حالياً » ، ولأن حقيقة وجودهم مصنوع وغير طبيعي ؛ فإن المجتمع الإسرائيلي الذي قام على سلب حقوق الآخرين يحس مهاجس الأمن أو ما يسمى بعقدة الأمن ، وهي عقدة ناجمة عن شعور إسرائيلي داخلي بأن وجودهم على هذه الأرض غير شرعي ، ولم تفلح محاولات زرع ثقافة مصطنعة في إعطاء الإسرائيليين الشعور بالانتماء أو المشروعية ، ولذا فالمجتمع الإسرائيلي مجتمع معسكر ، فأنماط المعيشة في إسرائيل « المستوطنات ، الكيبوتزات ، الموشوفات » وطريقة التجنيد والتعبئة ونظام الاحتياط ووضع المؤسسة العسكرية السياسي ، من حيث كونها مصدراً للنخب السياسية والأمنية رفيعة المستوى ، وأهمية حقيبة وزارة الدفاع في الحكومات الإسرائيلية ونسبة مخصصات الميزانية العامة لإسرائيلية للإنفاق العسكري ، توضح الوضع الذي تمثله المؤسسة العسكرية في إسرائيل .

ويعاني المجتمع الإسرائيلي أيضاً من مسألة عدم تجانس اليهود القادمين من مختلف بقاع العالم ، من غرب أوروبا وأمريكا ، ومن شرق أوروبا ، ومن اليمن

والعراق والمغرب وروسيا والحبشة وغيرها ، وكل منهم يحمل ثقافة مختلفة ، ولن يعلج الحديث عن الأسطورة التاريخية أو وحدة الأصل اليهودي في صهر هذا المزيج غير المتجانس ، وكذلك فإن الوجود العربي للفلسطيني داخل فلسطين المحتلة يمثل مشكلة كبيرة بالنسبة لإسرائيل ، فلا هي قادرة أو راغبة في إعطائهم دولة مستقلة ، ولا هي قادرة أو راغبة في إعطائهم حقوقهم السياسية كمواطنين إسرائيليين ومع تزايد معدلات النمو السكاني الفلسطيني فإن مشكلة ديموجرافية خطيرة ستواجه الكيان الصهيوني .

■ الكيان الصهيوني بعد الحرب الباردة :

إذا كان الصهاينة قد قبلوا أن يقوموا بدورهم كوكيل للاستعمار الغربي في المنطقة مقابل السماح لهم بإقامة كيانهم ودعمه ماديا ومعنويا ، فإن مرور عشرات السنين على هذا الكيان جعل قادته يفكرون في التحول من دور التابع إلى دور الشريك الاستراتيجي ، وتواكب في تلك اللحظة أن حدث متغير مهم في الصراع الدولي ومعادلاته الإقليمية ، فسقوط الاتحاد السوفيتي السابق ونهاية الحرب الباردة ، قلت أهمية إسرائيل الاستراتيجية بالنسبة للغرب عمومًا وأمريكا خصوصًا ، وتواكب ذلك مع التواجد العسكري الأمريكي في المنطقة بعد حرب تحرير الكويت ١٩٩١ ، أي أن أمريكا جاءت بجيوشها ولم تستخدم هذه المرة - لأسباب كثيرة - انصهاينة كجماعة وظيفية لأداء خدمات عسكرية نيابة عنها ، وهذا بدوره قلل الأهمية الاستراتيجية للإسرائيليين ، ولكي يعيد الإسرائيليون التأكيد على أهميتهم ودورهم ساروا على عدة محاور ، أولاً : زيادة التغلغل الصهيوني في الإدارة الأمريكية خاصة الخارجية والمخابرات والدفاع ومراكز البحث ومؤسسات صنع القرار الأمريكي عمومًا بشكل لم يسبق له مثيل على الإطلاق في تاريخ العلاقة بين

الطرفين .

ثم عملت إسرائيل على تقديم نفسها ليس كتابع لأمريكا بل كحليف استراتيجي - مستقل - لها ، ولو كحليف صغير أو أقل حجماً . يقول شمويل كاتز في بحثه المعنون : « وجهة نظر إسرائيلية للعلاقة الأمريكية الإسرائيلية » ما مدى صحة القول بأن إسرائيل تعتمد على الولايات المتحدة الأمريكية اعتماداً تاماً ، أنه قول سخيف ، حتى لو أخذناه على ظاهره ، فإذا كانت إسرائيل توصف دائماً بأنها حليف ، فمعنى ذلك أن هناك بين الولايات المتحدة وإسرائيل حالة من الاعتماد المتبادل لا تقل : بل إنها تزيد في بعض الجوانب على العلاقة بين الولايات المتحدة وأوروبا الغربية » . ويضيف الباحث الإسرائيلي شمويل كاتز : « لا غني لأمن أمريكا عن إسرائيل الصديقة ، لا بسبب الحقائق الجغرافية السياسية وحدها ، بل أيضاً لأن إسرائيل أصبحت لديها القدرة على خدمة المصالح الأمريكية بشكل إيجابي لاسيما في الشرق الأوسط » ويطرح كاتز أن علاقة الحلفاء هي الأكثر قبولاً بقوله : « ولا شك في أن بالوسع إقامة علاقة صحيحة ومتكافئة كالعلاقة بين الحلفاء بإبرام اتفاق تعاقدي لا يتأثر بالتميزات السياسية ليضمن لإسرائيل أن تحصل لا على منح بل على مقابل للخدمات » .

وطلحت إسرائيل نفسها بعد الحرب الباردة كذراع قوية وفعالة في مواجهة الصحوة الإسلامية ، وإذا كانت دوائر حلف الأطلنطي وأمريكا بالذات قد اعتبرت أن الإسلام هو العدو الجديد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق وأن الصحوة الإسلامية تمثل خطراً على المصالح الأمريكية والغربية قيمياً وسياسياً وعسكرياً واقتصادياً ، فإن إسرائيل التي تحس بالخطر ذاته عليها مستعدة للقيام بدورها في هذا الصدد لحماية نفسها ولحماية مصالح أمريكا والغرب أيضاً كما

أكثر إسرائيل من الحديث عن دورها المهم في موازنة الخطر الإيراني المرتقب المترصد بأمريكا والغرب وإسرائيل . وقد طرحت إسرائيل نوعين من التكتيك خدمة الأهداف الأمريكية بعد الحرب الباردة ، الأول طرحه شيمون بيريز زعيم حزب العمل ورئيس الوزراء الإسرائيلي السابق والذي يتضمن سيطرة أمريكا اقتصادياً وبالتالي سياسياً وعسكرياً على المنطقة من خلال إدماج المنطقة في تجمع اقتصادي وعلاقات اقتصادية « السوق الشرق أوسطية » تحقق لأمريكا أهدافها ، وتكرس سيادتها على العالم والمنطقة وتكون إسرائيل فيه أكبر الشركاء والقائد الإقليمي للتنمية التي تحقق بدورها من خلال رفع مستوى معيشة العرب نزع فتيل التطرف الإسلامي الذي يستمد مادته من تدهور الأوضاع الاقتصادية في المنطقة ، وفي الوقت نفسه تحقيق نوع من السلام مع العرب يضمن لإسرائيل البقاء في المنطقة كجزء مندمج فيها من خلال شبكة قوية ومتنوعة من العلاقات الاقتصادية مع المحافظة على تقوية الذراع العسكري الإسرائيلي ونزع سلاح العرب أي أن بيريز كن يريد أن يحقق نوعاً من الربط بين إسرائيل والعرب ؛ يجعل من الصعب على السول العربية أن تفكر في تقييد صلتها بإسرائيل والتحول إلى علاقة عداء والرؤية الانية التي تبناها نتنياهو وحظيت بالقبول الإسرائيلي تتمثل في انتخاب نتنياهو بدلاً من بيريز لرئاسة الوزراء ، تقوم على استمرار إسرائيل منفصلة عن الشرق الأوسط ويستند مدمجة في نظام شرق أوسطي ، لأن مستقبل إسرائيل والمصالح الغربية من وجهة نظر نتنياهو يتمحور حول إسرائيل ذاتها وقدرتها على الاحتفاظ بشخصيتها في وسط معاد ، وأنه لا توجد وسيلة للتعامل مع هذا المحيط إلا بالقوة والردع « اعنف » ، يقول نتنياهو في كتابه : « مكان بين الأمم » السلام الوحيد الممكن تحقيقه بين العرب وإسرائيل هو السلام الذي يعتمد على ردع العرب ، هو سلام حذر

ومسلح يوفر لإسرائيل درجة كافية من القوة القادرة على ردع الجانب العربي عن التفكير في استمرار الحروب » .

وفي الحقيقة فإن إسرائيل قد نجحت بوسائل عدة في إقناع واشنطن بأسلوب التحالف بدلاً من أسلوب التبعية ، فقد أعلن كلينتون أن الطرفين اتفقا على الارتفاع بمستوى تحالفهما الاستراتيجي إلى درجة عليا لتصبح إسرائيل شريكا كاملاً للولايات المتحدة في كل ما يجري من ترتيبات في المنطقة !!!



■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

انتهيار الشيوعية

لا يعني صلاحية الرأسمالية



oboiikan.com

مع الانهيار السريع والدرامي للشيوعية والتفكك المأساوي للاتحاد السوفيتي السابق استغل الغرب الفرصة وقدم أطروحته التي تقول : إن النظرية الوحيدة الصحيحة في هذا العالم هي الرأسمالية الليبرالية (المتحررة من القيود) ، واقتصاد السوق .

وتكاثفت أجهزة الإعلام في أمريكا ، وكذا الدوائر الفكرية والاستراتيجية لاختراع نظرية أو أيديولوجية جديدة ، لتعطي هذا الكلام بعدا فلسفيا وحضاريا ، وقدمت نظرية تقول : إن تاريخ البشرية قد انتهى عند بلوغه أقصى تطوره السياسي والفكري ، وذلك بوصوله إلى الليبرالية الرأسمالية الأمريكية أو الرأسمالية في صورتها الأمريكية وكانت تلك الفكرة قد بدأت بمقال لكاتب أمريكي الجنسية ياباني الأصل هو : « فرانسيس فوكوياما » ثم توسع فيه فأصدر كتابا يحمل هذه الفكرة ويدلل عليها تحت عنوان : « نهاية التاريخ والرجل الأخير » ، وبالطبع وجدت هذه الفكرة وهذا الكتاب من يروج له بواسطة قوى الإعلام الأمريكية الجبارة كأيديولوجية جديدة وتفسير جديد للتاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي في العالم على العالم كله أن يعتنقها أو يخضع لها .

وكان الاقتصادي الأمريكي روستو قد وصل إلى نتيجة قريبة من تلك التي وصل إليها فوكوياما إلا أنها لم تحظ بمثل هذا الانتشار الذي حظيت به نظرية فوكوياما ؛ لأن النظرية الأخيرة ظهرت في وقت ملائم لها ووجدت من الأجهزة الأيديولوجية والعسكرية الأمريكية من يروج لها .

والرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون يقرر أن انهيار الشيوعية يعني أن الحل الوحيد المتاح والصالح أمام البشرية هو الرأسمالية الليبرالية في صورتها الأمريكية ، بل إنه حتى يرفض الاشتراكية الديمقراطية وينعى على هؤلاء الذين لا

يزالون يحملون بها أو يطبقونها أو يروجونها .

يقول ريتشارد نيكسون في كتابه « الفرصة السانحة » : « ويوجد خطر حقيقي بالنسبة لأوروبا في أن تتحول بعد عام ١٩٩٢ إلى دولة اشتراكية ديمقراطية ، وأن تتدخل الحكومات في الأسواق التجارية ، وهذا هو أحد الأسباب التي من أجلها يجب أن توجد أمريكا في أوروبا والعالم أجمع لكي تحول دون ذلك التحول ، إن التزامنا تجاه الحرية والسوق الحر ، يحتم علينا أن نقاوم القوى التي تحاول أن تجعل أوروبا تعود إلى الخلف » .

إذن ، غير مسموح بغير الرأسمالية الليبرالية ، والسوق الحر ، أو الرأسمالية على النمط الأمريكي ، فليست الشيوعية فقط هي المرفوضة بل أيضاً أي شكل من أشكال الاشتراكية .

وخلاصة الأمر : أن القوى الإعلامية الأمريكية تروج الآن لمقولة : « أن الرأسمالية هي النموذج الصحيح الوحيد وأنه غير مسموح بأي نمط آخر غير الرأسمالية في صورتها الأمريكية ، والسؤال يقود إلى سؤال آخر وهو : لماذا انهارت الشيوعية ؟ وهل كان ذلك بفضل ضغط النظام الرأسمالي اقتصادياً وإعلامياً عليها ؟ وهناك سؤال ثالث يطرح نفسه وهو : هل بعد انهيار الشيوعية ، هل تصلح الرأسمالية كديل ؟

وفي الحقيقة ، فإن الشيوعية لم تسقط بسبب الضغط الاقتصادي الرأسمالي عليها ولا بسبب الإعلام الرأسمالي أو اقتناع الشعوب التي كانت تعيش تحت الحكم الشيوعي بأن الرأسمالية أفضل ، إن الشعوب التي ثارت على الشيوعية وأسقطتها لم تفعل ذلك بهدف الحصول على الرأسمالية ، إن تلك الشعوب ثارت على الشيوعية لأن الشيوعية نظام فاسد في أصله الفلسفي وفي تفسيره للتاريخ وفي منهجها السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، أي أنها سقطت من داخلها لأنها أفلست على

المستوى النظري والتطبيقي ، إن أحدا خارج الكتلة الشيوعية لم يكن يحلم بهذا الانهيار السريع والمدوي للشيوعية وحتى من الناحية الإعلامية ، فإن الشيوعية ظلت إلى آخر لحظة متفوقة على الرأسمالية وتجدد من يقتنع بها من خارج السور الحديدي للدول الشيوعية أي من هؤلاء الذين لم يعرفوا فسادها لأنهم لم يعيشوا تحت حكمها ، ولعل هذا الأمر يعترف به ريتشارد نيكسون نفسه في كتابه « الفرصة السانحة » يقول نيكسون :

« منذ حوالي اثنين وثلاثين عامًا قال لي خروتشوف في موسكو بشيء من الصلف سوف يعيش أحفادك في ظل الشيوعية ، فأجبته قائلاً : سوف يعيش أحفادك في حرية وقد كنت متأكدًا في ذلك الوقت من خطأ ما قاله خروتشوف ، ولكنني لم أكن متأكدًا من صحة ما قلته أنا » - أي أن نيكسون لم يكن متأكدًا من قدرة الرأسمالية على إقناع الشعوب التي تعيش في ظل الشيوعية بأن الرأسمالية صالحة ، وإن كان متأكدًا أن الشيوعية فاسدة .

وإذا بحثنا عن سبب خارجي لسقوط الشيوعية وانهيارها ، إنه بالتأكيد لم يكن بريق الرأسمالية ولا بريق القيم الغربية برمتها بل كان في جزء كبير منه يعود إلى الإسلام وبريق الفكر الإسلامي ، الذي كان هو الوحيد القادر على المغالبة الفكرية أمام الشيوعية والتصدي لها والصمود الأيديولوجي لها ، وبالتالي فإن انهيار الشيوعية لا يعني صلاحية الرأسمالية ، بل يعني صلاحية الإسلام والأيديولوجية (العقيدة والنظرية) الإسلامية .

وقد تبدو هذه نقطة غريبة على البعض ، ولكن دعنا نستشهد برجل من أهلها وهو نيكسون أيضاً ... يقول نيكسون في كتابه « الفرصة السانحة » : « لقد وقف الإسلام بصلافة ضد الشيوعية أقوى مما وقفت المسيحية ضدها ، ولقد كان للوازع

الديني في الدول الإسلامية أكبر أثر في عدم تغلغل السوفيت في العالم الإسلامي .

إذن كان هناك سبب أيديولوجي خارجي لسقوط الشيوعية وهو الإسلام والمبادئ الإسلامية ، وليس هذا فحسب ، بل إذا كان هناك ضغط سياسي وعسكري خارجي أدى أو أسهم في إسقاط الشيوعية فقد كان أيضاً للمسلمين وللجهاد الإسلامي الأفغاني دور فيه ، ونستدعي أيضاً نيكسون للشهادة ، على طريقة ، وشهد شاهد من أهلها ، يقول نيكسون : « إن شجاعة واستبسال المقاومة الأفغانية كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى انهيار الإمبراطورية السوفيتية » .

وقد يقول قائل : إن الصمود الأفغاني كان بسبب المساعدات الأمريكية ... وهذا قول يفتقر بالطبع إلى الجدية فإذا لم تكن هناك مقاومة واستشهاد واستبسال وإرادة فولاذية للمجاهدين فإن تلك المساعدات لم تكن تفيد شيئاً ، ثم إن الحقيقة المعروفة تقول : إن أمريكا لم تقدم مساعدات حقيقية للمجاهدين الأفغان ، ونيكسون أيضاً يعترف بذلك ، فيقول نيكسون : « وعندما قام الجيش الأحمر بغزو أفغانستان عام ١٩٧٩ كان رد فعلنا رمزياً فقد رفضنا مشاركتهم في الألعاب الأولمبية وأوقفنا صفقة حبوب للاتحاد السوفيتي وأرسلنا بعض الأسلحة التي عفى عليها الدهر للمقاومة الأفغانية » .

إذن ، فقد كان انهيار الشيوعية ليس بسبب صلاحية الرأسمالية ولا بريقها الأيديولوجي ولا حتى ضغطها السياسي أو العسكري ، بل إن انهيار الشيوعية في حد ذاته يحمل في طياته عدم صلاحية الرأسمالية وفسادها أيضاً مثل الشيوعية تماماً ، لأن كلاً من الشيوعية والرأسمالية قد خرجتا من نفس الأرضية الثقافية ، وهي الأرضية الثقافية للحضارة الغربية ، وبالتالي فإن فشل أحد الإفرازات وثبوت فساده يعني ضمناً فساد الأرضية الثقافية وفساد كل إفرازاتها .. يقول المؤرخ

الإنجليزي أرنولد توينبي مؤكداً أن كلاً من الشيوعية والرأسمالية خرجا من نفس الأرضية الثقافية : « إن المنافسة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة على زعامة العالم ، وبين الشيوعية والمذهب الحر بالتالي على اجتذاب ولاء البشرية هو موضوع نزاع عائلي داخل أسرة المجتمع الغربي » .

ونصل الآن إلى السؤال المهم والخطير بعد انهيار الشيوعية : وهل تصلح الرأسمالية لقيادة المسيرة البشرية ؟

وهذا يجعلنا نناقش الرأسمالية في أصلها النظري وفي تطبيقاتها ، وأصل الرأسمالية أنها إفراز طبيعي للحضارة الغربية ، تلك الحضارة التي أفرزت الفاشية والنازية والصهيونية والشيوعية ، وبالتالي فإنه من الطبيعي أن يكون مصير الرأسمالية مثل مصير باقي أخوتها إن شاء الله ، لأنها نشأت « مثلهم » من نفس الأرضية الفاسدة .

إن الجهاز الإعلامي الغربي عمومًا والأمريكي خصوصًا يقدم لنا الرأسمالية كتطور طبيعي داخلي في المجتمع الغربي ، فهل هي حقًا كذلك ؟ والجهاز الإعلامي الغربي يقول لنا : إن الرأسمالية نجحت في أن تحقق العديد من الإنجازات في العالم الغربي بحيث أصبح مستوى دخل الفرد في المجتمعات الرأسمالية مقارنًا بالمستويات الموازية في كثير من بلدان العالم الثالث ما لا يقل عن عشرين إلى أربعين ضعفًا في الغالب .

والحقيقة ، أن الرفاهية التي تعيشها دول الشمال الرأسمالي لم تكن بسبب الرأسمالية بل بسبب نهب ثروات الشعوب الأخرى واسترقاق أهلها ، وأن الرأسمالية ذاتها نشأت لتكون أداة هذا النهب ، ولنستمع في هذا الصدد لشهادة الأستاذ منير شفيق في كتابه : « الإسلام في معركة الحضارة » ..

يقول الأستاذ منير شفيق : « يجري التركيز النظري عند الحديث عن ولادة

الرأسمالية على اعتبارها مرحلة في سياق تاريخي متتابع تحكمه قوانين داخلية في المجتمع ، ولكن هذه مسألة لا تنطبق على المجرى الفعلي للتطور التاريخي ، أي لا يصعب الإثبات أن عملية العنف الخارجي والتوسع والنهب التي مارستها أوروبا قامت قبل ولادة الرأسمالية ، ولم تقم لتلبية حاجة قوى إنتاج رأسمالية أصبحت تلح عليها لممارسة العنف والنهب والتوسع ضد الخارج ، إن الصورة في أوروبا تقول : إن الرأسمالية ظهرت لتلبي الحاجة الناشئة عن النجاح الذي أصابه العنف والتوسع والنهب الخارجي ، فهي أصبحت ممكنة ومتاحة لا نتيجة تراكم داخلي نبع من تطور قوي الإنتاج وإنما جاء نتيجة تراكم جاء من النهب الخارجي ومن ثم سمح التراكم بتطوير قوى الإنتاج وإحداث تراكم داخلي مرتبط به ومضاف إلى التراكم الأساسي الذي جاء ويحيى من عملية العنف والتوسع والنهب .

إن مجيء المجتمع الرأسمالي بعد الإقطاع أو على أنقاضه لا يؤدي إلى الافتراض تلقائيا بأنه تطور طبيعي في أحشاء المجتمع الإقطاعي لأن مجيء حدث بعد حدث في التاريخ لا يعني بالضرورة وجود رابطة سببية بينهما ، وإنما ينبغي أن تدرس الأسباب الحقيقية لحدوث الواقعة الجديدة ، ومن ثم يثبت إن كان هذا التالي نتاج تطور طبيعي أم نتاج عوامل لا علاقة لها بتطور تلقائي داخلي في الحديث السابق .

وتؤكد الوقائع التاريخية أن ممارسة الإقطاع الأوروبي للتوسع والنهب والعنف كان أسبق من تطور قوى الإنتاج الرأسمالي أو البرجوازية في داخله ، ومن ثم من المهم جدًا تحديد أيهما أسبق أو تحديد أيهما كان سببا لوجود الآخر ، وهنا تطرح الفكرة القائلة بممارسة العنف والتوسع والنهب من الخارج هي التي ولدت الحاجة إلى تطوير قوى الإنتاج وساعدت عليه ، فعندما وجدت أوروبا نفسها قد توسعت في عدد من الأقطار الأفريقية والآسيوية والأمريكتين ، بدأت ترى العالم كله قابلا

جرائم أمريكا والغرب

للقوق الكامل في قبضتها ، الأمر الذي جعلها بحاجة إلى نظام ديناميكي (فاعل ومتحرك) نشط قادر على اكتساح العالم كله والسيطرة عليه ، وهذا ما جعل أوروبا تعيد صياغة نفسها في البوتقة الرأسمالية بما يخدم هذا الوضع الجديد ولآفاقه المستقبلية ، قد يقول قائل ولكن التوسع الخارجي والنهب والعنف هي أمور وجدت في مجتمعات عديدة في التاريخ ولم تتطور إلى رأسمالية ، ولكن هذا القول مردود عليه ؛ لأن حدوث التوسع هنا عاش مع تطور محدود للعلوم قد وصله العالم في ذلك الوقت وقد ساعد على استقبال الحاجات الجديدة واستخدامها في تطوير أدوات الإنتاج ، فضلاً عن السمات الخاصة الأساسية للأرضية التي قام عليها النمط المجتمعي الحضاري الأوروبي تاريخياً ، مثل سمة الملكية الفردية والطبقية وما لعبته من دور عبر المراحل المختلفة ويقود هذا إلى عدم صحة القول بتطور طبيعي للرأسمالية من أحشاء الإقطاع ، وإنما تصبح الرأسمالية نتاج حالة عالمية تكونت في ظرف استثنائي سمح لأوروبا أن تنجح في اجتياح العالم بالقوة ، ومن ثم هي الابنة الشرعية لهذا الشرط العالمي ولا تستطيع أن تستمر إلا بإعادة توليده باستمرار ، أي بإعادة السيطرة على العالم بالعنف وتحقيق أقصى درجات النهب وأقصى درجات الأرباح ، ومن ثم سيطرة قلة من الدول المتصارعة فيما بينها على العالم كله ونهبه الماضي في هذا الطريق حتى النهاية .

إن مسار تطور الرأسمالية لا يتجه إلى تحقيق الرفاهية والتقدم لكل الشعوب بل لعدد محدود جداً منها « أمريكا وأوروبا » ، لأنه كلما تضخمت تلك البلدان أكثر ، أصبحت أكثر ارتباطاً بحالة السيطرة والنهب والعنف والتوسع ، أي لم تعد قادرة على الكف عن العنف والنهب والسيطرة ، انه اتجاه التضخم باستمرار والعنف الأهرج والنهب بلا حدود ، والجشع بحده الأقصى .

إذن فالذين يبشروننا بصلاحيات الرأسمالية وأنها الكلمة الأخيرة في التاريخ إنما هم يبشروننا في الحقيقة بهيمنة ورفاهية وسيطرة دولة أو مجموعة دول قليلة على العالم كله ، تقوم فيه بدور النهب والعنف والسيطرة ، وبالطبع نحن من ضمن الدول والشعوب التي ستكون مادة للنهب والعنف والسيطرة أي الضحية ، لأن الرأسمالية لا تستطيع أن تعيش إلا بالنهب الخارجي والعنف والسيطرة .

وإذا كان هذا نصيبنا ونصيب الدول المستضعفة عمومًا في عالم الرأسمالية فإنه حتى الدول التي ستقوم بدور السيطرة في ظل الرأسمالية سوف تعود فتنهار هي الأخرى ، لأنه من المحتوم أن ينتهي هذا العنف والنهب اللانهائي بتدمير نفسه ، لأن ما يحدث أمامنا من التضخم في القوة العسكرية وتلويث البيئة وثقب الأوزون والعنف اللانهائي يجعلنا نقول : إن هذه الدول الرأسمالية المسيطرة تسير في الاتجاه الدينامي أو اتجاه التدمير الشامل ، أنها تدمر كل شيء .. البيئة والفضاء ، ولا تسمح لنفسها إلا بالاستمرار نحو التضخم حتى الانفجار .

ولكن في ظل هذا ، ما هو الحل ؟ فلنعد إلى الأستاذ منير شفيق الذي يقول : « إن مصير العالم سيظل مظلمًا ما دامت تلك البلدان برأسماليتها قادرة على استخدام العنف ، أما الأمل بيزوغ فجر جديد ، وهذا لا يكون إلا إذا نجحت الثورة في البلدان الإسلامية وفي بلدان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية من جهة أو دمرت الدول الكبرى نفسها بشكل أو بآخر بحرب أو بدون حرب وأصبحت عاجزة عن المحافظة على سيطرتها وغير قادرة على استعادة تلك السيطرة من جهة أخرى ، بل لابد من أن يصل هذا المسار الدينامي للحضارة الغربية حتى منتهاه ، فتصبح أرض تلك الحضارة عطشى إلى الخروج ، الجاهلية والظلمات والدخول في عالم النور أي الخروج من عبودية المادة والنهب والقوة والانحلال الأخلاقي والحروب

لدمرة حتى للحياة نفسها إلى عالم توحيدي واحد ، تتوازن فيه الجوانب العقيدية والفكرية والثقافية والأخلاقية في حياة الفرد والجماعة والبشرية كلها ، أي تتغير لغابات المتمثلة في تحقيق أكبر قدر من إشباع الشهوة والحاجات المادية والسلع والقوة والسيطرة على حساب الغالبية العظمى من العالم وعلى حساب فطرة لإنسان وجوهره ، وهي تفعل ذلك ، بينما أصبحت تمتلك مخزونا مروعاً من أسلحة لدمار الشامل خصوصاً النووية والجرثومية والكيماوية ، ولا يتوهم أحد أن ذلك لا يشكل خطراً محققاً ، وما وصول تلك الحضارة إلى هذا المخزون الرهيب إلا دليل على اتجاه مسارها ، وعلى جوهرها الهمجي والمتخلف والرجعي ، وهي العبارات لتي طالما استخدمتها هي بحق غيرها من الحضارات ولكنها شديدة الانطباق عليها على الرغم من كل تنظير يخفي تلك الحقيقة الصارخة ، وهنا يحق للإسلام أن يطرح نفسه مشروعاً متألقاً أمام هذا الظلم الدامس الذي تنشره الحضارة الغربية .



obeikan.com

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

الرأسمالية في صورتها الأمريكية

■ كيف نواجه الرأسمالية ...

■ وما هو البديل؟



obeyikan.com

آلة شيطانية ضخمة ، ترأسها بشر ، تقتل الأطفال ، تمتص دماء البشر ، تعذب المرأة وتظلمها ، تجتث جذور الثقافات ، تنتشر المذابح والتطهير العرقي ، وحروب الإبادة ، والطائفية والعنصرية ، الاستعمار ، النازية ، الفاشية ، العنف ، القهر ، تدمير القيم ، نهب ثروات الشعوب والأفراد ، بلا رحمة وبلا هوادة ، وفي كل يوم جديد يزداد جشع تلك الآلة الشيطانية حتى أنها بدأت تأكل نفسها وتنفصل حتى عن إطارها الاجتماعي لتصبح هي ذاتها مستقلة عمن صنعوها بل أصبحت خطراً عليهم أيضاً .

هذه الآلة الشيطانية هي بالتحديد النتيجة الحتمية للصعود الغربي بدءاً من الكشف الجغرافية والاستعمار وسباق الإعلام وانتهاء بالبورصات العالمية التي تعمل ٢٤ ساعة في الـ ٢٤ ساعة والخبراء والحاسبات الضخمة والأقمار الصناعية والبنك المباشر ، البنك الدولي والجات وصندوق النقد الدولي ومجلس الأمن وقوات حفظ السلام الدولية ! وأخيراً الشركات العابرة للقوميات ، والتي أصبحت ميزانية واحدة منها أكبر من ميزانية دول وهي مجتمعة . ميزانيتها أكبر من ميزانية الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، إنه عصر الفوضى واللاثقافة و اللاحضارة .

وضحايا هذه الآلة بالملايين ، بل ألوف الملايين ، شعوب كاملة ، قارات كاملة ، أطفال ، نساء ، رجال ، حضارات ، ثقافات ، فقر ، جهل ، مرض ، مدن الصفيح وإنسان بلا جذور ، تخريب بحث للهياكل الاقتصادية والاجتماعية ليحل محلها كومة ضخمة من الخردة وأناس بلا مستقبل بل بلا حاضر أيضاً .

هل نقول : إن هذه الآلة الشيطانية هي المنظومة الحضارية الغربية باعتبارها أن تلك المنظومة الحضارية الغربية هي التي أفرزت تلك الآلة الشيطانية .. نعم .. ولكن أيضاً لا .. لأن تلك الآلة أصبحت نفسها أكبر من تلك المنظومة واستقلت عنها .

وليس هناك من حل بالطبع سوى تدمير هذه الآلة الشيطانية - الثورة - ثورة المحرومين والفقراء والمهمشين والمقهورين في كل مكان ، ثورة تضم كل ضحايا هذه الآلة ، الأفارقة ، السود ، الشعوب المطحونة في آسيا وأمريكا اللاتينية ، ضحايا تلك الآلة داخل الغرب نفسه كالمرأة مثلاً ، المرأة الغربية التي دفعت ثمن الشذوذ والإباحية تعاني آلاماً مبرحة من مجتمع بلا قيم ولا ضمير .

وعلىنا الآن أن نحدد طبيعة هذه الآلة الشيطانية ، وكذا جذورها والمنظومة الاجتماعية التي أفرزتها ، وكذلك تطوراتها حتى وصلت إلى حالتها الراهنة البشعة . وإذا كان من المفيد أن نبدأ بشيء ، فهو المنظومة الاجتماعية والحضارية التي أفرزت تلك الآلة الشيطانية ، وهي المنظومة الحضارية الغربية التي أعطت تلك الآلة سماتها الثابتة والمتغيرة أيضاً . والحضارة الغربية حضارة تقوم على الوثنية والعنف والقهر ، ولا يمكن فهم هذه الحضارة ولا ميكانيزماتها (آليات) عملها بعيداً عن سمات العنف والقهر والوثنية ، الحضارة الغربية هي حضارة إغريقية هيلينية في جوهرها ، أما المسيحية فلم تكن إلا قشرة خارجية لتلك الحضارة ، ذلك أن المسيحية تحولت إلى دين إغريقي وثني داخل الغرب ولم يتحول هذا الغرب إلى المسيحية ، وعلىنا أن ندرك في هذا الصدد أن المسيحية دخلت إلى الغرب عن طريق إمبراطور آمن بها وفهمها على طريقتة الإغريقية ثم فرضها على شعبه فرضاً ، ثم تبنت ممالك هذه الديانة وأكرهت الآخرين على اعتناقها وإلا تعرضوا للذبح ، وليس التنصير الوحشي للساكسونيين على يد القديس بونيفاس إلا مجرد نموذج ينطبق على كل الحالات تقريباً ، وهكذا تحولت المسيحية إلى ديانة إغريقية ، وبدلاً من التسامح المسيحي ، أصبح العنف جزءاً أصيلاً من المسيحية الغربية .

وحتى اليوم يتم تنصيب بابا روما وفقاً لقواعد البروتوكول (النظام) الخاص

بتنصيب كهنة المعابد الإغريقية ، أضف إلى هذا أو قل نتيجة لهذا فإن الكاثوليكية لعبت دوراً مهماً في عملية الاستعمار الغربي للعالم ، وكانت دائماً طليعة للاستعمار وباركت دائماً أو شاركت في عملية قهر ونهب الشعوب الأخرى على يد الغرب في المرحلة الاستعمارية حتى إن الاستعمار في رموزه كان عبارة عن عسكريين وتجار ومبشرين !

والبروتستانتية لم تكن إلا تطوراً في المسيحية الإغريقية وأكبت مرحلة أخرى من مراحل تطور آلة العنف والقهر الغربي ، ولم تكن إصلاحاً دينياً بل كانت وصفة عالمية للنجاح في الأعمال التجارية ، ولم تكن عقلانيته المزعومة إلا نفعية حقيقية وباختصار .. كان الاقتصاد السياسي هو الديانة البروتستانتية الجديدة ، ولا ننسى أن المسيحية الغربية التي أصبح العنف سمتها الرئيسية ارتبطت بالمذابح الدينية والحروب الطائفية ومحاكم التفتيش !

مع الصعود الغربي إبان ما يسمى بعهد النهضة الأوروبية تم بعث الثقافة لإغريقية والهيلينية ، وتم بعث الدول والفكرة القومية وظهرت البروتستانتية تلائم قيم العقلانية والتنوير والنفعية ، وأصبحت ديانة جوهرها الاقتصاد لسياسي وبدأت مرحلة الاستعمار ، أو ما يسمى بسباق الإعلام ، حيث تسابقت لدول الأوروبية على استعمار العالم ، ومن خلال إبادة شعوب أمريكا وأستراليا ، ومن خلال نهب ثروات تلك القارات المكتشفة ، وكذا نهب ثروات الشعوب في آسيا وأفريقيا ، ثم استرقاق سواعد السود لبناء القاعدة الإنتاجية لتمويل عمليات لاسترقاق أو التجارة خلف البحار ظهرت الثورة الصناعية أو التقدم الصناعي لغربي ، والرأسمالية التي أصبحت منذ تلك اللحظة سمة رئيسية من سمات الآلة لشيطنانية من سمات الغرب والحضارة الغربية ، ويجب أيضاً أن نضع في اعتبارنا أن

الرأسمالية أيضاً أصبحت أداة قاسية وحادة في المزيد من الاستعمار وفتح الأسواق والنهب والقهر وتطوير الأداة العسكرية للغرب ومع عام ١٩١٤ كان معظم العالم خاضعاً للاستعمار الأوروبي ، ولكن كان من الطبيعي أن الآلة الشيطانية لا تكف عن العنف فبعد أن مارست هذا العنف والنهب على العالم بأسره مارسته أيضاً مع نفسها ، فكانت الحرب العالمية الأولى والثانية .

واستطاعت الآلة الغريبة الشيطانية أن تطور نفسها ، فكانت مرحلة ما يسمى بتصفية الاستعمار ، أو قل مهزلة تصفية الاستعمار ؛ ذلك أنه لم يكن أكثر من تطوير للوسائل في عملية النهب والقهر الغربية المستمرة .

ويعبر المفكر الفرنسي « كُ موريل » عن ذلك قائلاً :

« إن أروع ما حققه الاستعمار هو مهزلة تصفية الاستعمار ، لقد انتقل الرجل الأبيض إلى الكواكيب ، لكنه لا يزال مخرج العرض المسرحي » .

وبدلاً من العسكر والتجار والمبشرين ، أصبحت هناك حكومات وطنية تقوم بمهمة القهر نيابة عن عسكر الغرب ، وتقوم أيضاً بالوكالة في تسهيل عملية النهب ، أصبح هناك جيش وطني وشرطة وطنية مهمتها الوحيدة القمع والقهر ، وأصبح هناك وكلاء تجاريون يمررون عملية النهب ، وأصبح هناك مثفون مغتربون يسهمون في اجتثاث جذور الثقافة وترويض الإنسان المحلي وتنويمه دائماً .

تطورت آلة النهب والقهر ، فأصبحت عبارة عن خبراء وبورصات عالمية تعمل ليلاً ونهاراً ، أقماراً صناعية ومحطات بث مستمرة لاجتثاث الثقافات ، مجلس أمن ، وقبعات زرقاء شركات عابرة للجنسيات ، شعارات ومبادئ تسهل عملية النهب وتزيد قوة مثل : حرية التجارة ، حقوق الإنسان ، التنمية ، التصنيع ، التنوير .. الخ .

والأمر الآن أشبه بمركز كبير للنهب تمتد منه شبكة ضخمة من الأنابيب إلى كل

مكان على وجه الأرض ، إنه وحش مفترس يمد خراطيمه في كل اتجاه يمتص دماء الآخرين ويتغذى على خلاياهم العصبية ، ويحولهم إلى حالة غير مسبقة من البؤس ، وهناك آلات رفع ضخمة تسهم في سرعة تدفق الثروات المنهوبة مثل البنك الدولي ، صندوق النقد الدولي ، البورصات ، حرية التجارة ، المؤتمرات العالمية مجلس الأمن ... الخ ... وحتى القروض والمنح التي تمنح للمنهويين من وقت لآخر ليست إلا وسيلة لتنظيف أنابيب النهب وزيادة كفاءتها والمزيد من بناء وتشيد محطات لرفع الثروات المنهوبة والقضاء على أية تنوءات اقتصادية أو ثقافية أو هياكل اجتماعية تعرقل أو تبطئ عملية النهب .

وفي كل يوم يزداد الوحش جشعاً ويزيد جوعه ، وفي كل يوم تتطور الآلة ، آلة النهب والقهر الوحشية وتزداد شراسة ويزداد الضحايا كما ونوعاً بالتالي ، وآخر التطورات في هذا الصدد هو الشركات العابرة للجنسيات ، وبدلاً من أن تقوم بعملية النهب دول قومية كهولندا وانجلترا والولايات المتحدة مثلاً ، أصبحت المكرة القومية وسيادة الدول ذاتها في مهب الريح ، وإذا كانت تلك الشركات العابرة للجنسية اليوم تمثل رأس مال إحداها أكبر من ميزانية دولة ، وتمثل ميزانياتها مجتمعة أكبر من ميزانية الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها ، فإن الأمر مرشح للاتساع في هذا الاتجاه ، وهكذا فنحن أمام تطور جديد لشكل وطبيعة النهب سيؤدي بالضرورة إلى قيام علاقات جديدة واقتصاد سياسي جديد ، ومزيد من الضحايا الذي لن يفلت منه هذه المرة حتى الغرب ذاته ، فالأمر أصبح أكبر من الدولة القومية وحتى من قارة بأكملها .. إن الوحش أصبح غير خاضع لأحد ، ولم يعد له مروضون أو مسيطرون .. إنه المزيد من البؤس .. والفوضى والجنون أيضاً .

إن أحد علامات هذه الفوضى هو تنميط الإنسان وفقاً لثقافة واحدة ، وإذا كان

الغزو الثقافي والبت المباشر وغير المباشر وسيطرة الغرب على وسائل مهيمنة لنشر ثقافات معينة كان يهدف اجتثاث جذور الثقافات الأخرى وتحويل الإنسان من خاضع بالقوة للنهب إلى مدمن لهذا النهب ، بمعنى أن يسعى هو نفسه إلى الوحش مصاص الدماء ويطلب منه ويلح أن يمص دمه فإن الأمر قد يتجاوز هذا التصور إلى عالم بلا ثقافة ولا حضارة على الإطلاق أو نهاية العالم .. ولكن ينبغي أن تكون نهاية الغرب وحده ، وليس نهاية العالم ، وهذا يقتضي الثورة لتحطيم الآلة الشيطانية .

على أي حال ، يجب أن نفكر في معنى العالمية ، الثقافة العالمية وأن نفكر فيما يروجون له من قيم حضارية واحدة وغيرها .. وأن ندعم التأمل في معنى أن مراكز البث الإعلامي الغربي تسيطر على صناعة الأخبار والمعلومات والفنون ، وبالتالي المشاهد والأذواق والأوامر في إطار أنه تغريب للعالم بالقوة بهدف قتل واقتلاع جذور الثقافات الأخرى ، وأيضاً هو في النهاية معاداة لكل ثقافة ، لأنه في عالم ذي ثقافة واحدة فإنه لا ثقافة على الإطلاق ! إنه عصر القروء والكائنات المنحطة .

سنبحث الآن عن الضحايا من جهة .. والمستفيدين من جهة من آلة القهر والنهب الشيطانية .. مع الأخذ في الاعتبار أن الضحايا يزدادون دائماً كماً ونوعاً ، وأن المستفيدين يقلون باستمرار لأن الآلة الشيطانية تزداد شرهاة بمتواليه هندسية وسنبحث عن الحل أيضاً . سنبحث عن العدل المفقود وهو بحث الإنسان الدائم .

وسنبداً بسؤال ساذج وهو : هل يمكن إقناع المستفيدين بالكف عن النهب والقهر ؟ هل يمكن إيقاف عمل الآلة الشيطانية عن طريق الإقناع ؟ أي هل يمكن تحقيق عدل شامل أو حتى جزئي عن الطريق السلمي ؟ ، والإجابة الوحيدة هي : لا .. لأن طبيعة الآلة وجوهرها عدواني ، قهري ، نهبي ، ومن العبث طبعاً إقناع الوحش بالكف عن امتصاص الدماء .

إذا لا طريق إلا الثورة ، ولكن ما هي أيديولوجية تلك الثورة وإلى أي جذر اجتماعي وثقافي تستند ، ومن هم جنودها ؟ ! وهذا سؤال سنجيب عنه بعد فرز لمعسكرين ، معسكر الاستكبار ، وكهنة الآلة الشيطانية ومعسكر الضحايا وبالتالي جنود الثورة .

وسنبداً في دراسة معسكر الاستكبار والمستفيدين ، وسوف نستطرد قليلاً باتجاه الماضي .. في بداية الاستعمار كان من الممكن أن نجد في المستفيدين دولا قومية ، أو حتى طبقات اجتماعية فقط داخل هذه الدول الاستعمارية: التجار ، البرجوازية الصناعية ، العسكر ، المبشرين .. أما الآن ، ومع التطور الهائل للآلة الشيطانية عن طريق الشركات العابرة للجنسيات ومع ازدياد شراهة آلة النهب والقهر لم يعد هناك سوى كبار رجال المال وأصحاب الشركات العابرة للجنسيات والجنرالات اكبار وأصحاب البنوك الكبرى وشبكات البث ، وعلى مستوى أقل الخبراء ، المثقفين المغتربين الذين يبيعون كلماتهم لقاء شيء من دماء الفريسة والمرتبطين بـلترويج للآلة الشيطانية ، الوكلاء التجاريين والحكام المحليين في العالم المستضعف انذين يشاركون في ذبح شعوبهم ونهبها لقاء ثمن كبير أو صغير .

أما معسكر الضحايا فهم كل الشعوب المقهورة والمنهوبة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وهم أيضاً المرأة في الغرب التي حولتها الآلة إلى سلعة تجارية والتي أتعسها السباق الاجتماعي الغربي الذي يسمح بالشذوذ ، فمثلاً لو كان هناك ٣٠٪ من هذه المجتمعات شواذاً وهؤلاء يستهلكون مثلهم في إشباع شذوذهم ، فإذا يبقى للمرأة الغربية سوى العنوسة والحرمان ، ثم لماذا تتحمل المرأة مثلاً عبء الجنين غير الشرعي وحدها وحتى لو كان هناك حديث عن إجهاض آمن .. ليس هناك طبعاً إجهاض آمن ؛ لأنها عملية جراحية في النهاية لها آثارها الصحية مهما

كانت الوسائل الصحية متقدمة ، أليس هذا دليلاً على الظلم الواقع على المرأة ؟ لماذا لا تحتفظ بجنينها ويتحمل الرجل معها أعباء ولادته وتربيته بدلاً من إجهاضه وقتله ؟ المرأة إذن في الغرب ضمن معسكر الضحايا وضمن حنود الثورة بالتالي . والطبقة العاملة الغربية وصغار الموظفين والعاطلون أيضاً والأطفال اللقطاء كل هؤلاء جنود في الثورة ؛ لأنهم ضحايا . وإذا كان الغرب في مرحلة تاريخية من تطور آلة النهب والقهر قد نجح في رشوة البروليتاريا وتحيدها بالتالي عن طريق شيء من المكاسب الاقتصادية والاجتماعية ، فإن استمرار تطور الآلة وبالتالي زيادة جشعها ونهمها اللانهائي سيجعل من المستحيل استمرار تقديم هذه الرشوة وبالتالي فإن هؤلاء الآن أو غداً سيجدون أنفسهم في معسكر الثورة ويجب الأخذ في الاعتبار هنا تزايد معدلات البطالة والتخلص من العمالة باستمرار في الغرب ، وهذا أمر مرشح للاتساع والتفاقم .

بقى علينا أن نبحت في أيديولوجية تلك الثورة ، وينبغي في البدء أن نقرر حقيقة لا يمكن الشك فيها من منظور فلسفي ، ومن منظور واقعي وتجريبي أيضاً ، ذلك أن أيديولوجية أي ثورة لا يمكن أن تكون مستمدة من الأرضية الاجتماعية والفلسفية نفسها بل والمعرفية التي أنشأت الأوضاع التي سوف نثور عليها ، ولعل هذا بالتحديد كان السبب في فشل تجربتين ثورتين هما : الثورة الاشتراكية الماركسية ، ولاهوت التحرير المسيحي في أمريكا اللاتينية ، ولا شك الآن ومن منطلق تجريبي ومعرفي أن ثورة تستند في أساسها الأيديولوجي والثقافي إلى ثقافة أفرزت الحالة التي نبغي الثورة عليها هي ثورة زائفة ، بل هي تكريس وتقوية للأوضاع التي يجب الثورة عليها ، لا بد إذن أن تكون أيديولوجية الثورة نابعة من سياق ثقافي مخالف بل وعدائي للأرضية الفلسفية والثقافية التي أفرزت الحالة والظاهرة التي تستهدف

لثورة الإطاحة بها .

فالماركسية ، مثلاً ، نشأت من قلب الفلسفة الأوروبية ، وبالتحديد الألمانية ، واستندت في تحليلها الاقتصادي والتاريخي إلى علوم الاقتصاد السياسي وعلم التاريخ الغربي والأوروبي بالتحديد ، ولذلك فشلت وما كان لها إلا أن تفشل بل إن فشلها الطبيعي كان دليلاً جديداً على فساد المنظومة الحضارية الغربية برمتها .

يقول المفكر الفرنسي سيرج لاتوش في كتابه (تغريب العالم) :

« إن الاشتراكية كما تحققت في الواقع ليست سوى شكل خاص مختلف من انظم الرأسمالية والمجتمعات الغربية ، فنحن نلقي بكل تأكيد التصنيع مع التمدين وتحويل الجماهيرية إلى بروليتاريا لكن بوجه خاص عبادة الآلة والتقنية والعلم والتقدم واستئناف مشروع الحداثة المتمثلة في قهر الطبيعة .. إنها ميكانيزمات الرأسمالية نفسها » .

ويقول : « الرأسمالية مجرد آلية - طبيعية عند الليبراليين ، اصطناعية عند الاشتراكيين - وبالتالي ، فالرأسمالية هي الليبرالية والاشتراكية معاً ، وهي مظهر من مظاهر الخصوصية الغربية للغرب » ويضيف : « إن النموذج السوفيتي مثلاً شكل مختلف للمشروع الغربي أكثر مما هو بديل حقيقي له » .

ويقول المفكر الإنجليزي أرنولد توينبي : « إن المنافسة بين الاتحاد السوفيتي - السابق - والولايات المتحدة على زعامة العالم ، وبين الشيوعية والمذهب الحر بالتالي عني اجتذاب ولاء البشرية هو موضوع نزاع عائلي داخل أسرة المجتمع الغربي » .

وللأسباب لنفسها كان من الطبيعي أن تفشل أيضاً مسألة لاهوت التحرير المسيحي في أمريكا اللاتينية وأن تكون ثورة زائفة أيضاً ، لأن جذورها الثوري نبع أيضاً من نفس المنظومة الحضارية الغربية نفسه ومن الوضع الاجتماعي ذاته الذي

كان ينبغي الثورة عليه ، فلاهوت التحرير المسيحي في أمريكا اللاتينية ينبع من الكاثوليكية ، وهي مسيحية غربية وجزء من المكون الثقافي والحضاري الغربي تحمل نفس سماته وعيوبه ذاتها أيضاً ، بل أكثر من هذا ، فإن الكاثوليكية بالتحديد تتحمل جزءاً كبيراً من جريمة استعمار أمريكا اللاتينية وما حدث فيها من إبادة للسكان الأصليين ثم نهب مستمر فيما بعد لثرواتها وشعوبها ، وفي هذا الصدد يقول سمير مرقص في مقال له في مجلة القاهرة ، عدد يناير ١٩٩٤ تحت عنوان: « تجربة لاهوت التحرير » كانت الكنيسة الكاثوليكية جزءاً من المشروع الكلي لغزو واستعمار شعوب القارة الجديدة وقد أسهمت الكنيسة بفاعلية في فرض القانون الاستعماري على المواطنين الأصليين للقارة اللاتينية ، ومن المعروف تاريخياً أن البابا ألكسندروس السادس هو الذي قضى بتقسيم القارة الجديدة بين الأسبان والبرتغال .

كانت الدودة إذن داخل الثمرة في كل من الثورة الاشتراكية ولاهوت التحرير المسيحي في أمريكا اللاتينية لأنها نتجت من الشجرة عينها التي كان ينبغي أصلاً قطعها وحرقها ، وكان من الطبيعي أن تفسد الثمرة .

وعلينا إذن أن نبحث عن جذر أيديولوجي للثورة العالمية على الآلة الشيطانية آلة النهب والقهر الغربية خارج شجرة الحضارة الغربية .

ينبغي ، إذن ، أن تكون ثورة تستند إلى ثقافة مغايرة ، وذات جذر حضاري مختلف بل عدائي ، وبما أن جنود الثورة هم كل شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية بل المرأة والعمال والعاطلون وصغار الموظفين في أوروبا وأمريكا ؛ فإن أيديولوجية الثورة ينبغي أن تستند إلى حضارة ذات قيم عالمية ولا شك أن الإسلام هو وحده الذي يمتلك كل هذه الخصائص التي ترشحه لأن يكون جذراً ثقافياً لتلك الثورة ، فالحضارة الإسلامية حضارة عالمية بكل المقاييس ، فالخطاب

الإسلامي - من ناحية - لم يوجه إلى منطقة جغرافية أو عرق بشري معين بل للعالم كله « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ، ومن ناحية أخرى فإن الحضارة الإسلامية أسهم فيها الأسود والأصفر والأبيض والأحمر ، الأفريقي والآسيوي والأوروبي ، اتركي والهندي والعربي والفارسي .. الخ .. وإذا كانت التجربة قد أثبتت أن تلك الحضارة استوعبت إسهام الجميع ؛ فكانت عالمية بالتجربة ، وإن خطابها عالمي في أصله فإنها وحدها القادرة مرة أخرى على احتضان الثورة العالمية الجديدة وأن تكون جذراً أيديولوجياً لها . وكذلك فإن الحضارة الإسلامية - انطلاقاً من الإسلام - لم تحاول إكراه أحد على اعتناق الدين الإسلامي « لا إكراه في الدين » .. ومن هنا نجد أنه لا يزال في العالم الإسلامي أقليات مسيحية ويهودية .. الخ بل نجد أن تلك الأقليات ومن خلال جو التسامح اندمجت في الحضارة الإسلامية دون أن تدخل الإسلام ، مما يدل على أن الإسلام ، وهو دين رباني - يمكن أن تكون حضارته وثقافته أيديولوجية لغير المسلمين .

نلاحظ أن الحضارة الأوروبية غير عالمية رغم زعمها وترويجها لهذا المصطلح ، لأن العالمية تقتضي معايير عالمية ، ولا يمكن لحضارة أفرزت العنصرية ونهب الآخر أن تكون عالمية ، ولا يمكن لحضارة قامت على استلاب الآخر وقهره أن تكون عالمية .

وبالإضافة إلى ما سبق ؛ فإن الإسلام لم يعرف العنصرية « كلكم لآدم وآدم من تراب » ، « لا فرق بين عربي ولا أعجمي ولا أسود ولا أبيض » ، وكذلك دعا إلى استثمار البيئة عدم قهرها ، ودعا إلى العدل والإنصاف والحرية . فالجهاد الإسلامي مثلاً كفريضة على المسلمين يتوجه لإزالة القهر والنهب وتحقيق الحرية والعدل دون أن يكون فرضاً للإسلام على الآخرين ، وبالتالي فالتراث الثوري للإسلام عظيم

جرائمه أمريكا والغرب

جدًا ، وهذا التراث الثوري يجعل الإسلام صالحًا كجذر لأيديولوجية الثورة العالمية ، فإذا كان الجهاد هو في حد ذاته ثورة على الظلم والقهر والنهب وإزالة الاستكبار والاستبداد ومحكوم أيضًا باعتبارات وقيم رفيعة ، بحيث لا يكون هناك عدوان إلا على الظالمين (قاتلوهم حتى لا تكون فتنة) فتنة الظلم والكفر ، والنهب والقهر ، (فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين) . فغايات الثورة الإسلامية ، وبالتالي العالمية هي القضاء على النهب والقهر والعنصرية والتغريب وتدمير الآلة الشيطانية الغربية وتحقيق العدل والمساواة واللاعنصرية بل والمجتمع اللاتبقي واحترام كرامة الإنسان أليست هي نفس المبادئ الإسلامية ؟

وكرهية الظلم - بل جعل الثورة عليه فريضة إسلامية هي من الأمور المعلومة من الإسلام تمامًا ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ﴾ وفي الحديث القدسي: « وانتقم من رأى مظلوما فقدر أن ينصره فلم يفعل » أي أن رؤية الظلم ولو على الآخرين وعدم الثورة على الظالم إنصافًا للمظلوم أمر يستوجب انتقام الله تعالى وغضبه .

ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): « لا يقفن أحدكم موقفًا يقتل فيه رجل ظلمًا فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يرفعوا عنه ، ولا يقفن أحدكم موقفًا يضرب فيه رجل ظلمًا فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يرفعوا عنه » .

وفي إطار الآداب والقيم المعروفة للثورة والجهاد الإسلامي: ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى] .

والتراث الإسلامي نصوصيًا وحضاريًا غني بالدعوة إلى الثورة على الظالمين وفق قيم وآداب رفيعة تحول بين الخلط بين الثورة والفتنة والبغي . وتحدد هدف الثورة « الظالمين » . ولا شك أن آلة النهب والقهر الغربي وهؤلاء المستفيدين منها ظالمون

جرائم أمريكا والغرب

جائرون ، لهم ضحايا ومظلومون بالملايين ، والأمر يستحق الثورة وحتى في إطار
نصاف الفقراء والمحرومين وتحقيق العدل الاجتماعي فإن التراث الإسلامي غني
بالنصوص والمواقف والرؤى والمناهج التي تجعل منه جذراً ثقافياً لأيدولوجية
الثورة العالمية ، ثورة الفقراء والمطحونين والمحرومين « ليس منا من بات شعباناً
وجاره جائع » ، والجار هنا قد يكون فرداً أو أسرة أو دولة أو قارة أو حتى كوكبا
من كان عنده فضل ظهر فليعده على من لا ظهر له ، من كان عنده فضل مال ..
أو فضل زاد أو ملبس .. الخ فليعده على من لا مال له .. الخ « وهي دعوة لتحقيق
المجتمع اللاتبقي ، ودعوة أيضاً للثورة على هؤلاء الذين يمنعون ما زاد على
حاجتهم في حين يحتاج إليها الآخرون .

وعلى ابن أبي طالب يقول: « ما منع غني إلا بما حرم منه فقير » أي أن تراكم
المتعة والغني والمال يأتي من سرقة حقوق الفقراء سواء بسوء توزيع الثروة المتاحة -
أسرقة من المنبع - أو بأكل فائض قيمة عمل هؤلاء الفقراء بإعطائهم أقل من
حقهم في عملهم وكدهم ، أو بتعطيلهم عن العمل أو الفساد والرشوة .. الخ ..

وأخيراً قول أبي ذر الغفاري رضي الله عنه : « عجبت لمن لا يجد قوت يومه كيف لا يخرج
على الناس شاهر سيفه » وهو يؤكد هنا وجوب ومشروعية ثورة الفقراء
والمحرومين ، وهكذا فالإسلام من حيث عالميته ، ومن حيث كونه ثقافة مغايرة
ومعادية للثقافة والحضارة الغربية ، وبحكم نصوصه وتراثه الثوري عموماً
والدعوة إلى ثورة الفقراء والمحرومين خصوصاً يصلح كجذر أيدولوجي للثورة
العالمية المنشودة .

ويبقى هنا أن يضطلع المسلمون بعبء الثورة العالمية كجنود لها ، وكطليعة أيضاً
لباقى المطحونين والمحرومين في العالم وأن يضطلع علماء الإسلام بتقديم الإسلام

جرائم أمريكا والغرب

كأيديولوجية للثورة العالمية ، وأعتقد أن الإسلام كدين وكحضارة وأيديولوجية يمكن أن يحرك المسلمين للثورة ، وهو أيضاً كحضارة قادرة على تحريك كل هؤلاء المنتمين إلى الحضارة الإسلامية من مسلمين وغير مسلمين باتجاه الثورة العالمية ، وهو قادر كأيديولوجية ثورية على تحريك كل البشر بمن فيهم حتى أبناء الحضارة الغربية - المرأة والعمال وغيرهم - باتجاه الثورة العالمية ، والأمر هنا ليس تفضيلاً بلا مبرر للإسلام على غيره ، لأن الثقافات الأخرى التي نحترمها ولا نريد القضاء عليها هي ثقافات أما غير ثورية أصلاً وإما أنها غير عالمية وإما أنها غير قادرة من الناحية الفلسفية على مواجهة ناجحة مع الحضارة الغربية وبالتالي مع آلة النهب والقهر الغربي .

إن الأمر ليس أكثر من علمية محايدة ، قراءة تقول : إن عدة قرون من الظلم والقهر والفقر والنهب والبؤس على يد الحضارة الغربية وآلتها الشيطانية ؛ ينبغي أن تنتهي ؛ ولن يكون ذلك إلا بالثورة التي يشارك فيها كل الضحايا وهذه الثورة تحتاج إلى جذر ثقافي وأيديولوجي لا بد أن يكون عالمياً ومعادياً للحضارة الغربية في الوقت ذاته ويحمل تراثاً ثورياً واضحاً ، وليس هناك إلا الإسلام كدين وكحضارة وأيديولوجية للثورة الذي يمكنه أن يكون هذا الجذر الثقافي للثورة العالمية المنشودة .



■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

العولمة صناعة أمريكية

الكوكبية أم صدام الحضارات



oboiikan.com

أصبح كل من مصطلح الكوكبية « نسبة إلى كوكب الأرض » أو العولمة أو العالمية أو أن العالم يسير إلى حضارة عالمية واحدة ومصطلح حرب الحضارات أو صراع الحضارات من المصطلحات الكثيرة التداول في الواقع الثقافي العربي والعالمي منذ أن سقطت الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفيتي وزال الاستقطاب الدولي بين الكتلتين الرأسمالية والاشتراكية .

وينبغي بداية أن نرصد مجموعة من الظواهر حول هذين المصطلحين:

※ فمن ناحية ، فإن الدعوة والتبشير بما يسمى الكوكبية أو العالمية أو سير العالم إلى حضارة عالمية واحدة قد تفشت في الواقع الثقافي العربي والإسلامي والعالم الثالث عمومًا في حين أن الحديث عن صراع الحضارات قد ظهر في أروقة دوائر الأبحاث القريبة ، وبالتحديد في أحد مراكز الأبحاث الجامعية الأمريكية على يد البروفسيور صمويل هانتجتون .

※ ومن ناحية أخرى ينبغي أن ندرك أن صدام الحضارات ليس اكتشافًا جديدًا ، بل هو حقيقة معروفة غابت قليلاً بحكم فترة الاستقطاب الدولي ثم عادت لتؤكد نفسها من جديد ، وأن أدراك هذه الحقيقة لم يغيب عن كثيرين من المفكرين العرب المخلصين أمثال مالك بن نبي الذي تحدث عن محور طنجة جاكارتا في مواجهة محور وشنطن موسكو أو محمد جلال كشك الذي تكلم عن الصراع الحضاري باعتباره الحقيقة الكبرى والتي تحرك الصراع العالمي رغم بروز الاستقطاب الدولي في ذلك الوقت بين الكتلتين الرأسمالية والاشتراكية .

تقوم دعوة الكوكبية أو العالمية أو سير العالم إلى حضارة عالمية واحدة على عدد من الأسس مثل كون العالم قد أصبح قرية إلكترونية صغيرة بحكم تقدم وسائل الاتصال ، وبالتالي أصبح الحديث عن الخصوصية الحضارية والثقافية مجرد وهم ،

وأن القيم الحضارية الغربية ينبغي لها أن تسود العالم بعد أن أثبتت أهميتها وجدواها وأن من يريد أن يرفضها ، فإنها هو يرفض المعاصرة بل وعليه أن ينسحب من هذا العالم ، وأن القيم الحضارية الغربية فإنها هو يرفض المعاصرة بل وعليه أن ينسحب من هذا العالم ، وأن القيم الحضارية الغربية هي قيم حضارية عالمية .

أما صراع الحضارات ، والذي قال به البروفسيور صمويل هانتجتون أستاذ علم الحكومات ومدير مؤسسة جون أولين للدراسات الاستراتيجية بجامعة هارفارد الأمريكية ، فهو يقوم على عدد من المفاهيم مثل أن القرن القادم هو قرن صراع الحضارات ، وأن الحضارة هي الدين ، وأنه لا خيار في الهوية الحضارية ، أي أن الإنسان لا يملك أن يختار هويته الحضارية بل بها يولد ويموت ، وأن الانقسام الأساسي بين الناس سيدور حول محور الثقافة ، وأن التناقض الأساسي في السياسة الدولية سيكون بين مختلف الحضارات حيث ستشكل حدود هذه الحضارات ساحات القتال المقبل ، وأنه لم يتبق في عالمنا المعاصر سوى ست حضارات هي: الغربية ، والصينية ، واليابانية والهندية والسلافية والإسلامية ، وأن الحضارة الإسلامية هي المرشحة لتحدي الحضارة الغربية ، وبالتالي يجب تجنيد أبناء الحضارة الغربية لمواجهة المسلمين .

ومن اللافت للنظر هنا أن الحديث عن صراع الحضارات تم في مراكز الأبحاث التي تمثل الأساس الاستراتيجي للسياسات الغربية ، أي أن الغرب يدرك هذه الحقيقة ، ويعمل على أخذها في الاعتبار ورسم سياساته على أساسها وبديهي أن صمويل هانتجتون ليس عميلاً للأصولية الإسلامية ، وبالتالي فنحن أمام حقيقة بديية يعمل الغرب من خلالها ، فهل تغيب عنا هذه الحقيقة التي طرحها من قبل الكثير من المفكرين الإسلاميين على أساس أنها من البدييات ، هل تغيب عنا هذه

لحقيقة ونعيش في وهم الكوكبية التي تفشت في واقعنا الثقافي العربي ؟

الكوكبية خدعة كبيرة ، بل هي مجرد قفاز لإلهائنا عن حقيقة المسألة ، وبالتالي خضاعنا في النهاية للحضارة الغربية ، وتبريراتها أكثر فسادا ، فإذا كان العالم قد أصبح قرية إلكترونية صغيرة بحكم تقدم وسائط الاتصال ، فهذا مدعاة للتأكيد على خصوصيتنا الثقافية ، والفرنسيون - وهم جزء من الحضارة الغربية - يقاومون للغزو الثقافي الأمريكي رغم أنه من قيمهم الحضارية نفسها ولم تحل وسائط الاتصال المتقدمة التي حولت العالم إلى قرية إلكترونية صغيرة من أن يرفعوا صوتهم احتجاجاً ويدعون إلى المحافظة على الخصوصية الثقافية الفرنسية .. وإذا كان البعض يعتبر الحضارة الغربية حضارة عالمية ؛ فإن الحضارة الغربية قد أخضعت العالم فهراً وسلباً ونهباً ولم تخضعه عن طريق الانفتاح الحر ، بل إن قيم الحضارة الغربية ذاتها قيم غير عالمية ؛ لأنها تقوم أساساً على العنصرية وسيادة المسيحي الأبيض على باقي العالم ، وبديهي أن وجود العنصرية في صميم القيم الحضارية الغربية يجعلها بالضرورة حضارة غير عالمية ، لأن القيم الحضارية ينبغي ألا تفرق بين لون أو جنس أو دين وإلا كانت دعوة للخضوع الحضاري وليست حضارة عالمية .

وفي الحقيقة ؛ فإن إدراك حقيقة أن الصراع الأساسي في العالم كان ولا يزال حضارياً يؤكد على ضرورة الاهتمام بالمحافظة على هويتنا الثقافية والحضارية وإلا فمصيرنا مصير الهنود الحمر ، خاصة أن الغرب يدرك أن الحضارة الإسلامية هي أكبر التحديات التي تواجه نظراً للصراع التاريخي الطويل والذي لم ينقطع يوماً والممتد في التاريخ والجغرافيا بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية ونحن إذا أمام مجموعة من الخيارات .

فإما الانخداع بفكرة الكوكبية والاستسلام للإبادة الحضارية ، وإما مواجهة

التحدي الغربي عن طريق التأكيد على الخصوصية الحضارية الإسلامية ، وأن نحاول إحداث نوع من التعاون بين مختلف الحضارات أو التأكيد على الخصوصية الحضارية الإسلامية والاستعداد لصراع طويل وقاسٍ مع الحضارة الغربية .

وفي الحقيقة ، فإن الحضارة الغربية ذاتها هي التي لا تقبل التعاون الحضاري بل لا تقبل بأقل من الخضوع الكامل لهيمنتها الثقافية ، وبالتالي النهب الاقتصادي والقهر السياسي والعسكري ، وهكذا فليس أمامنا سوى خيار المواجهة .
أما كيف تتم هذه المواجهة فهناك طريقتان :

طريق الجمود والسلفية وطريق التحدي والاستجابة ، فأما طريق الجمود والسلفية فهو طريق معتبر ولا شك ولكن ذو إفادة مرحلية ؛ لأن السلفية والجمود ترفض بدهة كل تجديد ، وبالتالي ترفض الخضوع والانفتاح على الغرب ، وهي بذلك أفضل من تقليد الغرب والاندماج فيه ، وأروع ما في الصخرة هو جهودها ، ولكن هذا الجمود والسلفية المفيد مرحلياً لا يصلح ولا يقدر على الاستمرار في المواجهة ، ولن يكون إلا كنوع من صحوة الموت أو الحالة الديناميكية التي ستقرض في النهاية .

أما طريق التحدي والاستجابة ، فهو طريق التجديد والإحياء الإسلامي ومواجهة قضايا العصر استناداً إلى الثوابت الإسلامية « الكتاب والسنة » ، أي أنه تجديد من الداخل الإسلامي الحي ، مثل التجديد الذي يحدث دائماً في خلايا الكائن الحي من داخله وليس بقطع أجزائه وتثبيت أجزاء خارجية .

أي أن المطلوب هو التحدي والمواجهة استناداً إلى الإسلام واستجابة لمستجدات الواقع ، وتقديم الاجتهادات الكامنة استناداً أيضاً إلى الثوابت الإسلامية .

وهذا الطريق هو القادر على المواجهة والصمود والانتصار في عالم صراع الحضارات .

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

الحضارة الأوروبية

■ هي حضارة العنف
والنهب والمنعة الأخلاقية



oboiikan.com

منذ أربعة إلى خمسة قرون لم تكن هناك أوروبا التي نعرفها اليوم ، لم تكن هناك دولة قومية ولا نهضة علمية ولا حضارة ، بل كانت أوروبا عبارة عن مجموعة من الأمراء والإقطاعيات ، غارقة في الصراع والحرب والقتال ثم حدثت عملية نهضة بدأت في أكثر من بلد وامتدت لتشمل أوروبا ثم أمريكا ، وهو ما يسمى بعصر النهضة ، وهو ذلك العصر الذي تم فيه بعث الثقافة والتراث والقيم الإغريقية لقديمة والتراث السياسي اليوناني والروماني ، وشيئاً فشيئاً سادت الثقافة الإغريقية كل شيء في أوروبا واختلطت بالثقافة السكسونية والجرمانية وشكلت ما يسمى بالحضارة الأوروبية ، وهي حضارة تعكس القيم الثقافية والسياسية التي تقوم على الوثنية ، وإن كانت قد حملت قشرة مسيحية خارجية إلا أن جوهرها وثني .

ومع الكشف الجغرافية التي بدأت في بلاط الملوك خاصة الأسبان والبرتغاليين ومع اكتشاف الأمريكتين ، بدأ عصر الاستعمار ونهب تراث الشعوب الأخرى واسترقاق أهلها بلا رحمة أو هوادة ، واستخدمت أوروبا تلك الثروات المنهوبة والأيدي العاملة التي جلبتها كرقيق في دفع عملية اقتصادية هائلة تمخضت عن ظهور الرأسمالية ثم الثورة الصناعية ، وذلك لتستخدم هذه الآلية الجديدة السياسية والعلمية « الرأسمالية والثورة الصناعية » في المزيد من النهب والاسترقاق ، وكانت المحصلة النهائية هي الرخاء والرفاهية المادية لجزء من العالم « عدد من الدول الأوروبية » على حساب ٨٠٪ من سكان العالم « عالم الجنوب عمومًا » ، وحتى سكان الشمال لم يحظوا جميعًا بالرفاهية بل قطاع صغير منهم على حساب الأغلبية .

إذن ، فالسمة الثانية بعد الوثنية التي تميز الحضارة الغربية هي سمة النهب ، وبالطبع هذا النهب صاحبه القهر والعنف للشعوب المغلوبة على أمرها وصاحب ذلك بالضرورة محاولات فلسفية وفكرية للحديث عن رسالة الرجل الأبيض

وتفوقه وتميزه لتبرير خضوع الشعوب الأخرى لهذا الرجل وتبرير استرقاق العبيد وخاصة السود ومنها نشأت التفرقة العنصرية التي لا تزال موجودة حتى الآن في كل أوروبا وأمريكا من خلال الممارسات غير الرسمية ، وفي جنوب أفريقيا رسميًا وقانونيًا ، وصاحب الرأسمالية ، بالطبع ، عملية البحث عن الربح بأي ثمن والتطاحن فيما بين الرأسماليين لتحقيق أقصى ربح ممكن ، وهكذا أخذت الحضارة الغربية سمتي المنفعة اللاأخلاقية والتطاحن .

وهكذا ، فإن السمات العامة للحضارة الغربية ، هي : الوثنية ، المنفعة اللاأخلاقية ، القهر ، العنف ، النهب ، التطاحن ، العنصرية .

والحضارة الغربية ، أو الحضارة الأوروبية ، تضم بالطبع أوروبا وأمريكا على اعتبار أن أمريكا جزء لا يتجزأ من السياق الحضاري الأوروبي ، بل هي أسوأ أجزائها وأبشع تطوراتها ، وذلك أنها نشأت أساسًا على يد حثالة الأوروبيين من المهاجرين والمغامرين والأفاكين ، أي أن أمريكا تحمل السمات الأساسية للحضارة الغربية وهي : النهب ، الوثنية ، العنف ، العنصرية ، المنفعة اللاأخلاقية ، بل وفي أسوأ صورها وممارستها وانتفاء أمريكا للحضارة الغربية أمر لا يختلف عليه اثنان بحكم الأصل والممارسة وريتشارد نيكسون يقول في هذا الصدد : « وطن مشترك عبر المحيط الأطلنطي » .. ويضيف : « علينا أن نبني وطنًا مشتركًا عبر الأطلنطي من كاليفورنيا حتى كمشاتة » .

وإذا ما نظرنا إلى الإفرازات الفلسفية والسياسية والاجتماعية ، نجد أن الحضارة الأوروبية قد أفرزت الرأسمالية ، وهي إفرازات الرأسمالية ، الشيوعية ، الاشتراكية ، الديموقراطية ، النازية ، الفاشية ، الصهيونية ، وهي إفرازات كلها بشعة ؛ لأن الرحم الذي خرجت منه رحم قدر وبلا ضمير ، فالرأسمالية مثلاً مسئولة عن جزء

جرائم أمريكا والغرب

كبير من النهب والقهر الذي عانت منه معظم شعوب العالم ، والشيوعية مثلاً ارتكبت لمذابح في البلاد التي سيطرت عليها وارتكبت جرائم الغزو بحق الآخرين مثل غزو أفغانستان ، المجر ، تشيكوسلوفاكيا ، والفاشية والنازية تسببتا في حروب طاحنة راح ضحيتها عشرات الملايين من البشر ، أما الاشتراكية الديمقراطية فهي المسؤولة عن لعدوان الثلاثي على مصر مثلاً سنة ١٩٥٦ حيث كان يحكم البلاد المعتدية أحزاب اشتراكية: حزب العمال البريطاني ، الحزب الاشتراكي الفرنسي ، وحزب العمل لإسرائيلي ، والجزائر مثلاً لم تعان في فترات احتلالها أكبر وأفظع الممارسات إلا عندما كان الحزب الاشتراكي يحكم فرنسا ، وإسرائيل مثلاً تتلقى أكبر الدعم من الحكومات لديموقراطية الاشتراكية في أوروبا ، أما الصهيونية فجريمتها في فلسطين معروفة .

وهكذا ، فإن كل ما أفرزته الحضارة الغربية كان وبالا على البشرية ؛ مما يدل على أنها حضارة فاسدة في أساسها ، بل إن إفرازات الحضارة الغربية لم تتورع عن إلحاق لأذى بأبناء الحضارة الغربية الرأسمالية أنفسهم في الحرب العالمية الأولى مثلاً والفاشية والنازية في الحرب العالمية الثانية التي مات فيها ٦٢ مليوناً من البشر .

والسجل الأسود للحضارة الغربية يضم إبادة ١٠٠ مليون^(١) من الهنود الحمر ومثلهم من الأفارقة الذين ماتوا من جراء القتل أو الحرق أو إرهاق العمل والاسترقاق أو من جراء المعاملة السيئة في المراكب التي كانت تنقل الرقيق من أفريقيا إلى أوروبا وأمريكا ، وفي الجزائر مثلاً قام الاستعمار الفرنسي بقتل وتهجير مليونين من السكان « كانت الجزائر وقتها ٤ ملايين .. أي أنهم قتلوا نصف السكان في عملية الاحتلال ثم راحوا يقتلون مئات الألوف كل عدة سنوات مع كل انتفاضة » .

(١) في وقت كان فيه سكان إنجلترا مثلاً ٣ ملايين نسمة أي أن الحضارة الغربية مسؤولة عن قتل ٣٠ ضعف سكان إنجلترا من الأفارقة ومثلهم من الهنود .

جرائم أمريكا والغرب

ولنستمع إلى شهادة الرئيس الجزائري الأسبق في هذا الصدد (١) ، يقول بن بيلال: « إن الصورة ما بين قتل الهنود الحمر وإبادة الزوج والعرب إلى جرائم هتلر وموسوليني وستالين مروراً على كرومر ونابليون والنبلي وييجو إلى يومنا هذا ، هناك خيط واحد متسلسل بمنطق واحد ، حلقة مغلقة ، ثم القنابل الذرية والحروب العالمية التي انتهت باستخدام القنبلة الذرية ضد اليابان ، والتي بلغ عدد القتلى في تلك الحروب ٦٢ مليوناً من البشر ، ثم أفران الغاز وجرائم ستالين المروعة وصولاً إلى ما فعلوه في بيروت وفلسطين . إنها الحضارة الغربية ، حضارة القتل والذبح والتدمير والحروب والقنابل الذرية والإبادة والجوع وإبادة الغابات وإفساد لبيئة » .

ويضيف بن بيلال: « تمخضت تلك الحضارة عن إبادة أجناس كاملة مثل الهنود الحمر ، وعن استرقاق الزوج ، وعن ظهور طفل خبيث هو الاستعمار الذي هيمن ولم تقف حدود هيمنته إلا عند آخر حدود الأرض ولا تزال هذه الهيمنة قائمة ومستمرة إلى يومنا هذا ، وإن كانت الأساليب قد تبدلت وتغيرت وتمخضت تلك الحضارة المريضة عن حروب داخلية وقمع بشعين ، وعن حروب عالمية ١٩١٤ ، ١٩٣٩ وذهب في الأخيرة وحدها ستون مليوناً من البشر ، وأدت تلك الحضارة إلى ظهور نماذج مثل هتلر وستالين وموسوليني ، وأدت إلى إعدام الزراعة في كثير من بلدان العالم ، خصوصاً النامية وأدت إلى المجاعة التي يموت بسببها خمسون مليوناً من البشر سنوياً من ضمنهم خمسة عشر مليون طفل ، ومأساة الجوع هذه تتضخم بسرعة هائلة بسبب القضاء على الزراعة ، وقد بقيت الولايات المتحدة وحدها القادرة على تصدير الغذاء ، وهذه لن تبقي الغذاء لك إلا إذا كنت شخصاً مريضاً عنه ، وهناك ١٧ مليون هكتار يتم القضاء عليها سنوياً ، وهي عنصر

(١) محمد خليفة - حوار معرفي شامل مع بن بيلال .

جرائم أمريكا والغرب

التوازن البيئي الأول ، ٤٠ ٪ من الغابات الاستوائية انتهى ، وفي ألمانيا ذاتها ، الغابة السوداء الشهيرة ستنتهي خلال عشر سنوات ، كما انتهت بالفعل غابات أخرى في ألمانيا وسويسرا وغيرهما ، وهناك زحف الصحراء ، وهناك مأساة التلوث البيئي التي تتكشف أخطارها كل يوم ، هناك ٤١ دولة مفلسة لا تستطيع حتى أن تدفع فوائد ديونها ، وهي شعوب تعيش شبه متسولة أشبه ما تكون بوضع البعير في الماء بالكاد يبقى رأسه فوق الماء لتنفس ولا يموت بسرعة ، وهذا الوضع ليس مرشحاً للنقصان بل العكس ، البنك الدولي نفسه يقول : إن الـ ٤١ دولة يمكن أن تصبح مائة دولة ، إن ثلاثة أرباع البشرية اليوم لا يعيش ، بينما الربع يحظى بكل شيء ، ويستهلك كيفما يشاء . والأخطر أن هذه النسبة تزداد تضخماً ، فتصبح ٣ / ٤ ، ٤ / ٥ ، ٥ / ٦ وهكذا ، وهناك الاغتراب بسبب تقسيم مجحف وغير طبيعي للعمل إلى أجزاء صغيرة ، إن فرنسا مثلاً فيها تسعة ملايين كلب ، ٨ ملايين قطة تستهلك ٤ مليارات دولار في حين أن ميزانية الصومال مثلاً ٤٠٠ مليون دولار ، أي أن كلاب وقطط فرنسا تأكل أكثر مما يأكل الشعب الصومالي كله عشر مرات . إن النظام الذي تمخض عن هذه الحضارات ينظم الأزمات متعمداً ويخلقها ويوزعها على الدول الفقيرة والمتخلفة ، وهي حلقات مترابطة من إفلاس الدول إلى المجاعة إلى أزمة البيئة ، إلى التصحر ، أنها أزمة حضارة كاملة .

إن الذين يقدمون لنا أمريكا اليوم كقائدة للنظام العالمي الجديد ، ويبشرون بقيمة الحرية على أنها قيمة أمريكية كبرى ، هؤلاء ينسون أن تلك الحرية المزعومة قد قامت على ذبح الهنود الحمر ، واسترقاق السود ، وإنه باسم تلك الحرية تم دعم إسرائيل على حساب الشعب الفلسطيني ، وأن أمريكا هذه التي يروجون لها ويطلبون منا أن نقبل بقيادتها غزت الكثير من الشعوب ، وأسقطت طائرات مدنية مثل : الطائرة الإيرانية المدنية عام ١٩٨٨ فوق الخليج ، وتمارس ازدواجاً مروّعاً في المعايير فيما

يخص العرب والمسلمين .

وهؤلاء الذين يتحدثون عن قيم الحرية والإخاء والمساواة التي فجرتها الثورة الفرنسية يتناسون أن أبناء تلك الثورة الفرنسية هم الذين ذبحوا الشعب الجزائري ونهبوا ثرواته ، بل هؤلاء أنفسهم دعاة الحرية والإخاء والمساواة رفضوا إعطاء الجنسية الفرنسية للجزائريين عندما ضموها الجزائر لفرنسا ، أي أنهم رفضوا تطبيق مبدأ المساواة المزعوم .

وفي الحقيقة ، فإن الذين يتحدثون عن الحضارة الغربية باعتبارها حضارة تقدمية أو صالحة يتعون في الخطأ ، ذلك أنهم ينظرون إلى المسألة في شقها الأوروبي أي بالنظر إلى التاريخ الأوروبي وحده ، وكأن أوروبا هي كل العالم ، أي يذكرون أوروبا وينسون باقي العالم ، ولو كانوا منهجين لدرسوا الحضارة الأوروبية بمنظور واقعي من خلال ممارستها في العالم كله .. ولو فعلوا ذلك لاكتشفوا أنها أبادت شعوبا واسترقت أخرى ونهبت الجميع ومارست التفرقة العنصرية وزعمت سيادة البيض على غيرهم .. ولو وضعوا هذه الأمور في معاييرهم لكانت الحضارة الغربية حضارة همجية ومتوحشة ورجعية .

وحتى في شقها الأوروبي أو بالنظر إلى التاريخ الأوروبي ، فإن تلك الحضارة تمخضت عن الفاشية والشيوعية والنازية ، وفجرت حربين راح ضحيتها عشرات الملايين من البشر من أهل أوروبا ، إذن فهي حضارة الصراع حتى مع بعضها البعض ، وكذلك فإنها أفسدت البيئة وأخلت بالتوازن البيولوجي في الكون ، وتسببت في الإيدز والمخدرات ، وفي أسلحة الدمار الشامل ، أي أنها خطر على الآخرين .. خطر على نفسها .. خطر على الأرض كلها ومستقبل الحياة البشرية فيها ، فكيف تكون هذه حضارة مرشحة لقيادة العالم !

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

الإسلام والغرب ..

تعاون أم مواجهة ؟



oboiikan.com

هناك الآن أكثر من اتجاه بشأن العلاقة المفترضة بين الإسلام والغرب أو الإسلام وأمريكا باعتبارها الممثلة الكبرى للحضارة الغربية .

فهناك الغرب وأمريكا وبعض القوى المحلية عندنا تدعونا إلى الالتحاق بالركب الحضاري الغربي والاندماج في الحضارة الغربية والتخلي عن ديننا وحضارتنا وقيمنا أو على الأقل قصر علاقتنا به على العبادة الفردية والضمير، وهؤلاء يقولون: إنه قد ثبت أن الحضارة الغربية حضارة عظيمة ويجب أن تسود العالم ، أو يقولون إنه لا أمل ولا فرصة للمواجهة ومن الأفضل أن ننصاع لها ، وهؤلاء بالطبع منافقون ومخادعون، فلا الحضارة الغربية حضارة عظيمة ، ولا هي حضارة ذات أخلاق ، ولا هي قدر مقدور لا يمكن الفكك منه ، هؤلاء بالتحديد يدعوننا إلى الاستمرار في أداء دور الضحية والذبيحة خاصة بعد أن شحذ الجزار سكينه وأصيب الآكلون بنهم شديد ، فضلاً عن أننا سنكون مجالا للنهب؛ فإنهم يطلبون منا أن نتخلي عن قيمنا وذاتيتنا ومبادئ ديننا وحضارتنا، وهذا بالطبع مرفوض .

واتجاه آخر يقول بأن الحضارات تتفاعل مع بعضها البعض أو تتزاوج وأن الحضارة الغربية ليست غربية فقط بل إنسانية أي أنها استفادت من كل الحضارات التي سبقتها وتفاعلت وتزاوجت معها وخرجت في النهاية لتكون حضارة إنسانية كلها ، وهذا الرأي خطير وبراقي لكنه خطأ ، ولكي نعرف أنه خطأ ينبغي علينا أن نفرق بين أمرين أحدهما التفاعل والتزاوج والآخر التعاون، فالتفاعل والتزاوج لا يتم إلا بين حضارات أو إبداعات حضارية من عائلة واحدة مثل: الحضارة الرومانية واليونانية والإغريقية والجرمانية والسكسونية وهكذا .. وهذا التفاعل والتزاوج لا يتم بين حضارات من عائلات مختلفة ، أي مختلفة نوعاً وكمياً ، فلا يمكن مثلاً الحديث عن تمازج وتزاوج حضاري بين حضارة تقوم على الوثنية

كالخضارة الغربية، وأخرى تقوم على التوحيد كالحضارة الإسلامية، والأمر هنا أشبه بعمليات التطعيم التي تتم في النباتات، فلا بد لكي تنجح عملية التطعيم هذه أن تكون بين أنواع معينة من النباتات تنتمي إلى عائلة واحدة، أو عائلات متقاربة، ولكن هذا التطعيم يفشل تمامًا إذا ما تم بين شجرتين لا ينتميان إلى عائلة أو عائلات نباتية متقاربة.

وفي الحقيقة، فإن إمكانية التزاوج والتفاعل بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية أمر مستحيل، لأن أي دراسة متعمقة للأساسات التي قامت عليها كل من عائلة الحضارة الإسلامية وعائلة الحضارة الأوروبية لا تترك مجالاً للشك في أن لكل منهما طريقاً مختلفاً وسياًفاً خاصاً، لهذا يهدف الحديث عن التواصل الحضاري أو التفاعل الحضاري أو التزاوج الحضاري إلى الإلحاق والتبعية الحضارية باعتباره جزءاً أساسياً في عملية الإلحاق الاقتصادي والثقافي والسياسي والسيطرة العسكرية.

وينبغي في هذا الصدد أن نلتفت إلى مجموعة من النقاط، فالداعون إلى الاندماج في الحضارة الغربية، ينسبون نقطة أساسية، وهي أن الحضارة الغربية لن تقبل الاندماج بها وأن يصبح غيرها جزءاً منها يستمتع بنفس الحقوق الحضارية معها، إنهم فقط يعنون بالاندماج أن نظل تابعين وأن نظل مجالاً للنهب دون مقاومة، ففرنسا مثلاً التي أدمجت الجزائر فيها وجعلتها جزءاً من فرنسا لم تقبل أن تعطي الجنسية الفرنسية للجزائريين مثلاً ولم تقبل أن يكون لهم نفس حقوق الانتخاب التي للفرنسي مثلاً!

والداعون إلى التزاوج والتفاعل الحضاري مع الحضارة الغربية ينسبون الظروف المشبوهة التي ظهرت فيها مثل هذه الدعوة، فهذا الموضوع لم يطرق بعيداً عن غايات ذات علاقة بالصراع الدائر بين القوى الاستعمارية والشعوب المهضومة

والمستضعفة ، فعندما طرح منظورا أوروبا هذا الموضوع كانوا في أغلبهم يرمون إلى سيادة الحضارة الأوروبية على العالم بكل ما تحمل من فلسفات وقيم ومعايير ومفاهيم ، وذلك من خلال الترويج للحضارة الأوروبية وضرب الحضارات الأخرى ، أو طمسها ، أو الإنقاص من قدرها أو خلطها بما يلغيها ، وهو أمر يؤدي بالشعوب إلى فقدان هويتها ومقومات شخصيتها الأساسية ، وإلى ضرب عوامل وجودها المادي والثقافي المستقل ، فتصبح مكشوفة أمام طغيان المستعمرين ثم تتحول إلى تابع ذليل يلتقط الفتات ، ويقف على العتبات ، دون السماح له بالدخول إلى صدر البيت .

والشيء الوحيد الممكن في العلاقة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية ولو عن الناحية النظرية هو التعاون على أساس استقلال كل منهما وعلى أساس انفراد كل منهما بخصائصه الذاتية المتميزة دون أن تحاول السيطرة أو ظلم أو نهب الأخرى ، والإسلام بالطبع يرحب بالتعاون ويدعو إليه في إطار الاحترام المتبادل والعلاقات المتكافئة ، ولكن هل تقبل الحضارة الغربية التخلي عن النهب والظلم والعنصرية والعنف من أجل هذا التعاون ؟ ! .. لنأخذ مثلاً مجال العلوم الطبيعية ، وهذه الأطروحة تنقسم إلى قسمين: قسم خاص بالحقائق العلمية والمكتشفات العلمية ، وقسم خاص بتوجيه هذه العلوم في اتجاه معين أي لإنتاج سلعة ضرورية مثلاً أو كمالية ، للقضاء على مرض أو لنشر مرض ! لإنتاج أدوات تسعد الإنسان أو لإنتاج أسلحة الدمار الشامل ، لإصلاح البيئة والمحافظة عليها أو لتخريبها وتلويثها .

أي أن هناك شقاً علمياً وشفقاً قيمياً ، والحضارة الإسلامية مثلاً عندما كانت متقدمة علمياً كانت توجه هذه العلوم لإسعاد الإنسان وتلبية حاجات كل البشر ،

بل وكانت تسعى سعيًا لنشر العلوم ولا تحجبها عن الآخرين ، لأن حبس العلم جريمة في الفقه الإسلامي ، أما الحضارة الغربية فإنها عندما تقدمت علميا استخدمت منجزات العلم في تحقيق أكبر وسائل النهب وقهر الشعوب الأخرى وظلمها بل إنها أيضاً تحجب العلم عن الشعوب الأخرى ، بل وتحاكم من يجرؤ على نقل شيء منها لبلاده « قضية الدكتور مهندس عبد القادر حلمي مثلاً » بل تغتال كل من ينجح علميا في البلاد الأخرى .

على أية حال من الناحية النظرية يمكن التعاون في الاستفادة من العلوم الطبيعية ونقلها دون ربط ذلك بغايات وأهداف استخداماتها أي في الشق العلمي دون الشق القيمي ، ولكن هل تقبل الحضارة الغربية ذلك وهي التي تغتال العلم ، وتحرم نقل العلم وتحاكم من يفعل ذلك ، بل وتضرب أي نهضة علمية في أي مكان خارج دائرتها الحضارية ؟ !

نؤكد مرة أخرى أن الإسلام يحض على التعاون ، ويحرص عليه ، ولكن التعاون ليس الاندماج والتزاوج والإلحاق ، التعاون يقوم على استقلال حضاري كامل ، فالحضارة الغربية عندما نقلت العلوم الطبيعية من الحضارة الإسلامية أخذتها دون شقها القيمي أخذتها وهضمتها ووجهتها وفقاً لمعاييرها الحضارية ، ووجهتها للتدمير والتلويث والإفساد وتحقيق أكبر قدر من آليات النهب ، أما نحن فمن المفروض أن نأخذ العلوم الطبيعية من الغرب دون شقها القيمي فنهضمها وتصبح جزءاً من شخصيتنا الحضارية المستقلة فنوجهها طبقاً لمعاييرنا وقيمنا الحضارية في إسعاد الإنسان وتحقيق الرفاهية لكل البشر وليس لنا وحدنا .

هل هناك فرصة للتعاون مع الغرب ؟

قلنا: إنه لا يمكن ولا نقبل لا الإلتحام الحضاري مع الغرب ولا التزاوج

والتفاعل بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية لانتهاهما إلى عائلتين حضائيتين مختلفتين، ولأن هذا في النهاية يعني التحول إلى تابع ذليل يظل خاضعاً للنهب والسيطرة . وقلنا إن العلاقة الصحيحة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية هو التعاون على أساس الاستقلال الحضاري الكامل والشخصية الحضارية المستقلة ، ولكن هل هناك فرصة للتعاون ؟ .. هل يقبل الغرب هذا التعاون ؟ .. هل تاريخنا معه يسمح بذلك ؟ .. هل تركيبة الحضارة الغربية تسمح بذلك ؟ ..

إن تركيبة الحضارة الغربية تقوم على النهب والقهر والعنصرية . ورخاء ورفاهية أهل الحضارة الغربية جاء من نهب ثروات الشعوب الأخرى واسترقاق أهلها ، ولكي تستمر هذه الرفاهية لابد أن يستمر النهب والقهر ، فهل أهل الحضارة الغربية مستعدون للتوقف عن النهب والقهر والعنصرية ؟ هل هم مستعدون للتخلي عن رفاهيتهم القائمة على ثروات الآخرين من أجل التعاون معنا أو مع غيرنا ؟

أعتقد أن ذلك صعب ، بل يبدو مستحيلاً ، وبالتالي فإمكانية التعاون بشروطها لصحيحة صعبة أيضاً ، بل تبدو مستحيلة، وحتى إذا حدثت المعجزة ونحلى أهل لشمال عن القهر والعنف والعنصرية فماذا يبقى من الحضارة الغربية ؟ إنهم يسقطونها تماماً ، إنهم يفقدونها سماتها الأساسية ، أي يقبلون الاندماج في نمط حضاري آخر، وفي حالة دخولهم في النمط الحضاري الإسلامي مثلاً ، فإننا لنعاملهم معاملة التابع ، بل معاملة الإسلام التي تقول : إنهم أصبحوا مثلنا تماماً لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

وإذا كانت تركيبة الحضارة الغربية لا تسمح بالتعاون إلا بانتفاء خصائص الحضارة الغربية ذاتها ، وبالتالي فالتعاون هنا صعب ويكاد يكون مستحيلاً ، ورأى أهل الحضارة الغربية فينا وموقفهم منا لا يسمح بقيام مثل هذا التعاون ، فهم

ينظرون إلينا نظرة صليبية عنصرية حاقدة لا تقبل بأقل من تدمير حضارتنا تمامًا وفي قول لا يخلو من الدلالة يقول المعلق السوفيتي فاسيليف:

« إن أمريكا الآن تنظر إلى العالم الإسلامي بوصفه إمبراطورية الشر الجديدة التي حلت محل الاتحاد السوفيتي السابق الذي كان إمبراطورية لشر القديمة والتي تركزت كل الجهود الأمريكية خلال أكثر من أربعين عامًا للقضاء عليها ».

وهذا المعلق السوفيتي المشهور فاسيليف استخدم هذه الحقيقة ، أي المصطلح ذاته المستخدم دائماً من قبل الأوروبيين والأمريكيين تجهنها ، فالبابا أوربان الثاني الذي فجر الحروب الصليبية قال في مجمع كلير مونت في سنة ١٠٩٥ :

« إن إرادة الرب تحتم على المسيحيين تخلص بيت المقدس من أيدي إمبراطورية الشيطان » . وعندها خر الكهنة الحاضرون راكعين تحت قدمي البابا !

والبارون دي كارافو يقول: « أعتقد أن علينا أن نعمل جاهدين على تمزيق العالم الإسلامي وتحطيم وحدته الروحية مستخدمين من أجل هذه الغاية الانقسامات السياسية والعرقية .. دعونا نمزق الإسلام بل نستخدم من أجل ذلك الفرق المنشقة والطرق الصوفية .. وذلك لكي نضعف الإسلام ، لنجعله عاجزاً إلى الأبد عن صحوه كبرى »^(١).

ويقول يوجين روستو اليهودي:

« إن الحوار بين المسيحية والإسلام كان صراعاً محتدمًا على الدوام ، ومنذ قرن ونصف القرن خضع الإسلام لسيطرة الغرب أي خضعت الحضارة الإسلامية للحضارة الغربية والتراث الإسلامي للتراث المسيحي ، وتركت هذه آثارها البعيدة

(١) مروان بحيري - الدراسات الاستعمارية في الإحياء الإسلامي في القرن ١٩ .

في المجتمعات الإسلامية»^(١).

يقول لورانس براون:

«لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة، ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبررًا لهذا الخوف، لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودي والخطر الأصفر وبالخطر البلشفي إلا أن هذا التخويف كله لم نجده كما تخيلناه، إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا اللدود، ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا، أما الشعوب اصفر «الصين، اليابان» فإنها ليست خطيرة لهذه الدرجة، ولكن الخطر الحقيقي كان في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي»^(٢).

ويقول مورو بيرجر في كتابه «العالم العربي»: «لقد ثبت تاريخيًا أن قوة العرب تعني قوة الإسلام فليدمروا بتدميرهم الإسلام»^(٣).

ويضيف مورو بيرجر: «إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجًا عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام، ويجب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي إلى قوة العرب، لأن قوة العرب تتصاحب دائمًا مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره»^(٤).

ويقول ج. سيمون: «إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السمر ونساعدهم على التخلص من السيطرة الأوروبية»^(٥).

(١) نقلا عن عبد الوراث سعيد «أمتنا والنظام العالمي الجديد».

(٢) د. مصطفى الخالدي... د. عمر فروخ - التبشير والاستعمار.

(٣) جلال العالم - قادة الغرب يقولون - المختار الإسلامي.

(٤) محمد محمد الدهان - قوى الشر المتحالفة - دار الوفاء.

(٥) د. عمر فروخ - مرجع سابق.

ويقول سالازار دكتاتور البرتغال السابق: «إن الخطر الحقيقي على حضارتنا هو الذي يمكن أن يحدثه المسلمون حين يغيرون نظام العالم» ! ولما سأله أحد الصحفيين: ولكن المسلمين مشغولون بخلافاتهم عنا .. أجابه: «أخشى أن يخرج من بينهم من يوجه خلافهم إلينا»^(١).

ويقول ريتشارد هرير دكمجيان: «إن قلة فقط خارج نطاق العالم الإسلامي كانت قادرة على توقع انبعاث إسلامي في البيئة المعاصرة وإن ضعف البصيرة في مجال التصور الذي أحدثته المادية الغربية والماركسية قد أعمى بقوة كل العلماء ورجال الدين الذين مالوا إلى استبعاد قوة الإسلام أو التقليل من شأنها»^(٢).

ويحذر المفكر الألماني باول شمترز قائلاً: «سيعيد التاريخ نفسه مبتدئاً من الشرق ، عوداً على بدء من المنطقة التي قامت فيها القوة العالمية الإسلامية في الصدر الأول للإسلام وستظهر هذه القوة التي تكمن في تماسك الإسلام ووحدته العسكرية ، وستثبت هذه القوة وجودها ، إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والاستفادة منها وستقلب موازين القوى ؛ لأنها قائمة على أسس لا تتوافر في غيرها من تيارات القوى العالمية»^(٣).

ويقول المفكر الإنجليزي هيلد بيلوك: «لا يساورني أدنى شك في أن الحضارة التي ترتبط أجزاؤها برباط متين وتتماسك أطرافها تماسكاً قوياً ، وتحمل في طياتها عقيدة مثل الإسلام لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب بل ستكون أيضاً خطراً على أعدائه».

(١) جلال العالم مصدر سابق .

(٢) ريتشارد هرير دكمجيان - الأصولية في العالم العربي - ترجمة عبد الوارث سعيد - دار الوفاء .

(٣) باول شمترز - نقلاً عن عبد الوارث سعيد - أمتنا والنظام العالمي الجديد .

وما بين الحقد على الإسلام ، وكراهيته ، والدعوة إلى تدميره والقضاء عليه أو التخويف منه ، ومن خطره التي تسود الروح الفكرية الأوروبية على اختلاف مدارسها ، هل هناك فرصة للتعاون بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية ؟ .. الإجابة: هذا صعب بالطبع .

وإذا تركنا كل ما سبق والتفتنا قليلاً إلى التاريخ ، نجده مفعماً بالصراع الدامي الذي خاضته الحضارة الأوروبية ضد الإسلام للقضاء عليه ، خاصة الإسلام دفاعاً عن نفسه ونشراً لقيمه وإنقاذاً للعالم من الظلم والطغيان .

خاض الإسلام معارك شرسة ضد الحضارة الأوروبية المتوحشة منذ اللحظة الأولى ، واستطاعت جيوش الإسلام أن تنتصر في اليرموك وعمورية وحطين ، ثم بدأت أوروبا تستعيد المبادرة ، فظهرت الحروب الصليبية بدءاً من سنة ١٠٩٥ حتى ١٢٩٤ في المشرق العربي أما في المغرب العربي فإن الإسلام استطاع أن يفتح أفريقيا والأندلس .

واستمرت المعارك مع الحضارة الغربية في الأندلس ثمانية قرون ، وفي بلاد المغرب العربي ألف عام قبل دخول الأندلس . وأثناء الحكم الإسلامي للأندلس وبعد سقوط الأندلس ، ولم يتوقف الصراع مع الحضارة الغربية لا في الشرق ولا في الغرب ، ففي الشرق ظهرت الخلافة العثمانية واستطاعت أن تنقذ العالم الإسلامي من السقوط ، ودخلت في معارك طاحنة مع أوروبا انتهت بفتح القسطنطينية ١٤٥٣ على يد محمد الفاتح ، بل انتشرت جيوش الإسلام في أوروبا مرة أخرى تعاود الهجوم ، وتعرضت الخلافة العثمانية إلى ضغط رهيب انتهى بسقوطها ، وقبل ذلك بقليل بدأت أوروبا حملتها الصليبية الثانية على العالم الإسلامي ، والمسماة باسم الاستعمار بدءاً من هجوم نابليون ١٧٩٨ وانتهاء بسقوط معظم بلاد العالم

الإسلامي في قبضة الاحتلال الأوروبي ، وفي المغرب العربي ظلت أوروبا ترسل حملاتها الصليبية إلى المغرب بعد سقوط الأندلس ، فتعرضت الجزائر وحدها إلى ١٠٠ حملة صليبية في أقل من ٣٠٠ عام بعضها برتغالي والآخر فرنسي أو إنجليزي أو أسباني أو ألماني أو بلجيكي بل حتى أمريكي ، وانتهى الأمر بسقوط الجزائر في يد الاستعمار الفرنسي ١٨٣٠ ثم تبعها المغرب وتونس .

إذن فعلى الرغم أننا لا نرفض التعاون مع الحضارة الأوروبية في إطار الاستقلال الحضاري لكل منا ، إلا أنه لا الترقية الحضارية الغربية تسمح بذلك ولا رأى قادتها فينا وأهدافهم تجاهنا تسمح بذلك ، ولا تداعيات التاريخ القديم والحديث تسمح بذلك ، وبالتالي لكي نعيش لا نخضع ونذوب وننتهي لابد من المواجهة حرب شاملة في مواجهة حرب شاملة ..

إذن ، فالمعركة حتمية ، ولا سبيل هناك إلا المواجهة ، أو الموت ، حتى المواجهة مع الهزيمة ربما تعطينا الفرصة في الصمود والحفاظ على البذور صالحة تحت التربة لتعود من جديد لتثمر في مرحلة أخرى ، ولكن الانصياع والخضوع لا يعني فقط خسائر هائلة في الحاضر بل يعني تدمير المستقبل ، لأنها تظال البذور الكامنة تحت التربة .

والمعركة هنا معركة حضارية شاملة ، أي سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية وثقافية ، والغرب يستخدم معنا كل الوسائل السياسية والعسكرية ، والاقتصادية والاجتماعية ، والثقافية أيضاً ، وما دام الغرب يشن علينا حرباً شاملة فلا بد من مواجهته بحرب شاملة ، تواجهه بالكفاح ، وحتى إذا سلمنا بصحة مقدمة هؤلاء وهي أن الغرب وأمريكا أقوىاء بدرجة لا يمكن مواجهتها ، فإن النتيجة التي توصلوا إليها خطأ ، لأن معنى مثل هذه القوة الهائلة للغرب وأمريكا أن الخضوع

لهم سيؤدي إلى النهاية والموت والاندثار ، وأن الخضوع لن ينقذنا ولن يحقن دماءنا ، بل إن الخضوع سيتسبب في خسائر أكثر من المواجهة حتى ولو كانت غير متكافئة ، على الأقل ، فالمواجهة سوف تقلل الخسائر وسوف تسمح للبذور الكامنة تحت التربة بالبقاء ، بعيداً عن يد الغرب فتعود لثمر في فرصة أخرى مستقبلية .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن الحضارة الغربية تحمل في داخلها الكثير من نقاط الضعف التي ينبغي الصمود واستثمارها أو الصمود وانتظار أن تؤدي تلك المواقع الضعيفة في جسد الحضارة الغربية إلى انفجار داخلي ، فالإنسان في الحضارة الأوروبية مثلاً يفقد التوازن بين حاجاته المختلفة ويفتقد التوازن في علاقاته مع الجماعة ، وهذا يؤدي إلى انتشار الأمراض النفسية والجريمة والانحراف والشذوذ الجنسي وزيادة استهلاك الخمر والمخدرات إلى حدود أصبحت تهدد حياة مئات الملايين من سكان أوروبا وأمريكا ، وهو ما يمكن أن يؤدي على المدى المتوسط أو الطويل إلى انهيار الحضارة الغربية من داخلها ، أضف إلى ذلك أن الرغبة في تحقيق أقصى قدر من النهب ، وبالتالي عدم التورع عن استعمال أقصى قدر من العنف ومع تزيد قوة الأسلحة الفتاكة يجعل العجلة العسكرية تدور بلا توقف ، مما يجعلها في النهاية قابلة للانفجار من داخلها أو بالتصادم مع بعضها البعض وإذا كانت الحرب العالمية الثانية التي نشأت بسبب التنافس على الربح بين دول كلها تنتمي إلى الحضارة الغربية قد أدت إلى قتل ٦٢ مليون إنسان ، معظمهم من الأوروبيين ، فكم يا ترى سوف يقتل في المعركة المسلحة والحرب الشعبية ، وعلينا أن نواجهه بالوسائل السياسية ، ونواجهه برفض الخضوع لوسائل النهب التي يمارسها ومن خلال بناء نمط اقتصادي مستقل وغير تابع ويعتمد على قوانا الذاتية ويقطع تماماً خيوط التبعية مع الغرب ، ونواجهه أيضاً بتصفية كل مراكز الثقافة المغتربة وكل

أشكال الاختراق الثقافي ، ونواجهه بثورة ثقافية شاملة تعتمد على تأكيد قيمنا الحضارية ، ونواجهه بالوحدة ، ورفض التجزئة التي فرضها علينا ، ونواجهه بتعبئة شعبية شاملة ، ونواجهه بحرب حضارية شاملة في مواجهة حرب حضارية شاملة .

ويجب أن ننتبه هنا إلى نقطة خطيرة ، وهي أن أخطر هذه المواجهات هي على الجانب الثقافي ، لأن الاختراق الثقافي يدمر حياتنا من الداخل ويقلل قدرتنا على المواجهة ، ويضرب فينا قيمنا الإيجابية مثل : الجهاد والوحدة والرفض ، وبالتالي يجعلنا عاجزين عن المواجهة في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية ، ولا بد أن ننتبه إلى أنه ما دامت الحرب حضارية وشاملة فليس من المعقول مثلاً أن نستخدم قيماً ووسائل واستراتيجيات مستمدة من الغرب لمحاربتة بها ومهما كانت براءة فإنها لن تجدي في مواجهته ، فكيف أواجهه على أرضيته الثقافية والحضارية ؟ ، لا بد أن أواجهه بأساليب وتكتيكات وقيم ووسائل واستراتيجيات مستمدة من ذاتنا حتى تظل قادرة على الاستمرار .

هناك من يروجون بأنه لا قدرة ولا سبيل إلى مواجهة لغرب وأمريكا ، وأن توازن القوى مختل تماماً لصالحهم وأنه لا داعي للمواجهة لأنها لن تفيد وأنه من الأفضل الخضوع أو البحث عن سبيل للتفاهم ، وإذا كنا ندرك أنه لا سبيل للتفاهم فإن المتاح وفقاً لمنطق هؤلاء هو الخضوع فقط ، مع العلم أن القدرات التدميرية لتلك الدول أصبحت هائلة بالمقارنة إلى مثلتها أثناء احرب العالمية الثانية ، وبالإضافة إلى ذلك ؛ فإن الرغبة في الربح بدون وازع أخلاقي ولا مراعاة للتوازن البيئي يمكن أن تؤدي إلى كارثة تهدد كوكب الأرض بأكمله .

ويلخص الأستاذ منير شفيق في كتابه:

« الإسلام في معركة الحضارة » نقاط الضعف في الحضارة الغربية كالتالي:

١ - التطور العام غير المتوازن بالنسبة إلى مختلف المجالات ، فقد تكثف في المجالات المادية واختل على مستوى العلاقات الإنسانية والأخلاقية ، مما يؤدي في النهاية إلى الإسراع بسقوطها لأن حالها يصبح كحال الذي يقف على قدم واحدة ، فمهما بلغت قدمه من القوة إلا أنها ضعيفة حين يتعرض الجسد كله إلى هزة قوية .

٢ - اتسعت الهوة بين أصحاب تلك الحضارة والغالبية العظمى من شعوب العالم ، مما دفع بها إلى مواجهة قوى لا قبل لها بها ، فالأقلية الظالمة مهما قويت وتمكنت تظل ضعيفة أمام قوة الأغلبية المظلومة صاحبة الحق ، فالتضاد مع حقوق غالبية الشعوب ومصالحها يؤدي إلى انهيار تلك الحضارة مهما طال الزمن .

٣ - التآكل الداخلي يشكل سمة أساسية مميزة لمجتمعات الحضارة الإفرنجية سواء أكان ذلك على مستوى المجتمع منفرداً أم على مستوى صراع تلك المجتمعات فيما بينها ، إن الصراع على امتلاك القوة والسيطرة والتنازع لامتلاك الثروة يؤديان بالإسراع بعملية التآكل الداخلي .

٤ - إن إطلاق الغرائز والنزعات البهيمية وانتشار الفساد والانحلال قد يصل في تلك الحضارة إلى ضعف داخلي شديد يجعلها غير قادرة حتى على الإنعادة من قوتها المادية ، مما قد يكرر صورة الجندي الروماني الذي ربط بالسلاسل لكي لا يفر في معركة اليرموك ، على الرغم من الكثرة العددية للرومان في تلك المعركة ، وقوة دروعهم ، وطول رماحهم ومضاء سيوفهم وفراة خيولهم .

وقد يقول قائل : إن الحضارة الغربية يمكن أن تعالج نقاط ضعفها أو تتخلص منها ، وبالتالي تجدد نفسها ، وهذا القول يعكس جهل أصحابه بطبيعة وجوهر الحضارة الغربية وطبيعة وجوهر نقاط الضعف فيها ، لأن نقاط الضعف هنا هي من صميم وجوهر الحضارة الغربية وليس عارضاً عليها ولا ناشئاً من عوامل

جانبية أو إهمال من القواد أو غيرها إنها تنبع من داخلها ومن صميمها بطريقة تلقائية وحتمية بحيث إنه من المستحيل عليها معالجتها أو التخلص منها ، وإذا حاول أهل الحضارة الغربية التخلص من تلك العيوب فإنهم سيتخلصون من الحضارة الغربية ذاتها .

فمثلاً ، إن السعي لتحقيق أقصى درجات القوة العنيفة المادية من أجل السيطرة على العالم ونهب ثرواته بلا حدود يجعل تلك الحضارة تدوس على كل القيم والمعايير التي تتعارض مع هذا السعي ، أو بتعبير آخر إن ذلك السعي يسخر كل شيء من أجله ، وهذا في حد ذاته يسمح بالتفوق في مجالات محدودة ، وهذه نقطة قوة أساسية في الحضارة الغربية ، وهي أيضاً سبب انهيارها المتوقع في مجالات أخرى ، المجالات الأخلاقية والنفسية والإنسانية واندلاع أشد الصراعات الداخلية والخارجية ، مما يشكل بدوره نقطة الضعف المركزية في هذه الحضارة ، إن نقطتي القوة والضعف المتولدتين عن تلك السمة الأساسية في الحضارة الغربية ستصلان في نهاية المطاف إلى تدميرها إن لم يعرضها مستقبل الإنسانية كلها إلى خطر قريب من شبه الإبادة الجماعية ^(١) .

ومثل آخر: إنه إذا حاول نظام حكم عنصري التخلص من عنصريته ، فإنه من الحقيقة يتخلص من نفسه ، لأن العنصرية هنا هي التي شيدت بناءه ، وهي التي تسمح له بالاستمرار ، فلولا النهب والاسترقاق والفصل العنصري لما كان هذا النظام العنصري قد نشأ ، ولما كان قد حقق لنفسه هذا الرخاء ولما استطاع أن يستمر لحظة بعد التخلص من العنصرية .



■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

الإسلام

هو النظام العالمي الجديد



oboiikan.com

جرائر أمريكا والغرب

مع التقدم الهائل في وسائل المواصلات والاتصال أصبح العالم بمثابة قرية إلكترونية صغيرة ، وبالتالي أصبح هناك ضرورة ومبررًا للحديث عن مصير إنساني واحد ، وعن ضرورة وجود معايير دولية واحدة ، أو حدوث شكل من أشكال المشاركة الإنسانية الشاملة ، ولكن هناك اتجاهًا قويًا يجد من يسنده إعلاميًا وعسكريًا وسياسيًا واقتصاديًا عن ضرورة جعل الحضارة الغربية بقيمتها وخصائصها هي النظام العالمي الجديد على أن تكون أمريكا هي قائدة هذا النظام العالمي الجديد .

وإذا كنا نقبل ونرحب ندعو إلى المشاركة الإنسانية الشاملة ، لأن العالم أصبح شديد الترابط ، وجعلته وسائل الاتصال والمواصلات قرية إلكترونية صغيرة ، فإننا لا نجد هناك ارتباطًا شرطيًا بين ذلك وبين إخضاع هذا العالم للمنظومة القيمية للحضارة الغربية ، أو لأي منظومة حضارية واحدة ، هذا العالم الصغير مترابط المتصل يمكن أن تتعايش فيه أكثر من حضارة دون أن تمارس إحداها على الأخرى قهراً أو تسلطاً أو تستهدفها للتذويب أو التدمير أو الإلحاق ، والحضارة الإسلامية مثلاً في وقت تفوقها لم تمارس قهراً أو تسلطاً أو إلحاقاً على الحضارات الأخرى ، وتركت المسألة للخيار الحر .. « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » .. ولا إكراه طبعاً في الحضارة ولا في القيم الحضارية .

ومع ذلك فإننا أيضاً لا نمانع في أن يسود العالم نمط حضاري واحد بشرط أن يكون ذلك من خلال الاختيار الحر وليس القهر والعنف والإجبار ، ولا بد أن تكون هذه الحضارة التي ينبغي لها أن تسود العالم عالمية في قيمها ومعاييرها ، وهذا شرط بديهي فكيف تسود العالم حضارة ليست عالمية !! ؟ هذا طبعاً بالإضافة إلى شروط أخرى كالعدل والمساواة والأخلاق والإحساس بالمسؤولية وغيرها .

والذين يدعون مثلاً إلى سيادة الحضارة الغربية على العالم ، يدعون في الحقيقة إلى سيادة حضارة غير عالمية على العالم ، وهذا منتهى التناقض والمغالطة . وما دام الحديث عن العالمية ؛ فلنبحث عما إذا كانت تلك الحضارة المرشحة وهي الحضارة الغربية ذات قيم عالمية أم لا ، أي أن نخضع الحضارة الغربية في قيمها وخصائصها وممارساتها لفحص وتحصيل عالميين .

الحضارة العالمية - مثلاً - ولأنها عالمية يجب أن تضم الأبيض والأسود والأصفر والأحمر يجب أي لا تكون عنصرية ، أما الحضارة الغربية فهي عنصرية حتى النخاع وسجلها العنصري حافل ، بدءاً من إبادة شعب كالهنود الحمر ، مروراً باسترقاق السود وانتهاء برفض فرنسا إعطاء الجنسية الفرنسية لشعب الجزائر حينما أدمجت الجزائر بالقوة وجعلتها جزءاً من فرنسا .

الحضارة العالمية يجب مثلاً أن تكون ذات معايير واحدة ، تقيس بها الأوروبي والعربي والهندي والصيني بمعيار واحد ، أما الحضارة الغربية هي حضارة مزدوجة المعايير فلا يعقل مثلاً أن تتجاهل طرد وتشريد الشعب الفلسطيني وقمعه بلا رحمة على يد القوات الإسرائيلية ، وأن تتجاهل الإرهاب الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني واللبناني وتصيح في وجه الإرهاب الليبي ! وليس من المعقول مثلاً أن نتحدث الحضارة الغربية عن حقوق الإنسان ، والديموقراطية وحرية الانتخابات ونزاهتها ، ثم لا تقبل بخيار الشعب الجزائري من خلال صناديق الانتخاب ، وتتأمر على خياره وتأتي وتدعم حكومة توقف المسار الانتخابي !

الحضارة العالمية يجب مثلاً أن تسعى لإسعاد كل البشر وليس أوروبا وأمريكا وحدهما ، والحضارة الغربية ليست عالمية بهذا المعيار ، لأنها تعتمد في رفاهية شعوب أوروبا وأمريكا على نهب ثروات الشعوب الأخرى وإفقارها . الحضارة العالمية بما

أنها عالمية يجب أن تكون أمينة على البيئة ومستقبل الحياة البشرية على كوكب الأرض ، أما الحضارة الغربية فهي حضارة غير أمينة تفسد البيئة وتخل بالتوازن البيولوجي في الكون وتؤدي إلى التلوث ويمكن أن تؤدي بكارثة على مستوى الكرة الأرضية كلها .

الحضارة العالمية يجب أن تكون حضارة ذات مسئولية أخلاقية ، والحضارة الغربية التي يموت في ظلها ٥٠ مليوناً من البشر جوعاً سنوياً منهم ١٥ مليون طفل ليست بالطبع عالمية بهذا المعيار .

إذن ، فالمعايير العالمية لا تجعل الحضارة الغربية حضارة عالمية ، وبالتالي فمن الطبيعي والواجب وفي إطار الحديث عن الحضارة العالمية أن نبحث عن حضارة أخرى تتفق مع المعايير العالمية .

وإذا بحثنا في العالم عن المنظومات الحضارية الموجودة لنأخذ منها واحدة تصلح لصفة العالمية لوجدنا هناك الحضارات الفرعونية ، الآشورية ، السومرية ، الفارسية .. وهذه كلها إما اندثرت وإما اندمجت طواعية في الحضارة الإسلامية ، ونجد الحضارات الصينية والهندية واليابانية والأفريقية الزنجية وهذه حضارات لا تحمل رسالة ثقافية ، وبالتالي لا تصلح لصفة العالمية ، ولا يبقى إلا حضارة الهنود الحمر وهذه تمت إبادة بجرمة كاملة المعالم على يد الحضارة الغربية ، فليس أمامنا إلا الحضارة الإسلامية ، وهذه وحدها المرشحة لقيادة العالم ، والتي تحمل وحدها صفة الحضارة العالمية .

وهذه الحضارة الإسلامية تمتلك رصيلاً هائلاً من التراث القيمي والأيدولوجي وأثبتت حيويتها وإيجابيتها وتعرضت لضغوط هائلة أمام الحضارة الغربية ولكنها صمدت أي أنها أولاً لا تزال موجودة ولا تزال حيوية ، والجميع يعترف بهذه

الحقيقة ، أي حقيقة حيوية الحضارة الإسلامية واستمراريتها وعدم القدرة على تدميرها .

يقول أعداؤها عنها ذلك مثل باول شميتر مثلاً: « إن انتفاضة العالم الإسلامي صوت نذير لأوروبا وهتاف يحجب آفاقها يدعو إلى التجمع والتساند الأوروبي لمواجهة هذا العملاق الذي بدأ يصحو وينفض النوم من عينيه ، هل يسمعه أحد ؟ .. هل من مجيب » ^(١) ؟

إذن فهي حية ، بل ولا تزال خطيرة على أوروبا القوية !

ويقول باول شميتر أيضاً: « إن القوة الإسلامية قوية وحيوية وموجودة لأنها قائمة على أسس لا تتوافر في غيرها من تيارات القوى العالمية » ^(٢) .

ويعترف بذلك المفكر الإنجليزي هيلد بلوك: « لا يساورني أدنى شك إن الحضارة التي ترتبط أجزاؤها برابط متين وتتماسك أطرافها تماسكاً قوياً وتحمل في طياتها عقيدة مثل الإسلام ، لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب بل ستكون أيضاً خطراً على أعدائه » ^(٣) .

ويقول لورانس براون: « الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام ، وفي قدرته على الانتشار ، وفي حيويته المذهلة » ^(٤) .

ويقول ريتشارد نيكسون: « ويحذر المراقبون من أن الإسلام سوف يصبح قوة جيوبوليتيكية متطرفة وأنه مع التزايد السكاني والإمكانات المادية المتاحة سوف

(١) باول شميتر نقلاً عن عبد الوارث سعيد .. مرجع سابق ..

(٢) باول شميتر - مرجع سابق .

(٣) نقلاً عن عبد الوارث سعيد - مرجع سابق .

(٤) نقلاً عن د . عمر فروخ - مرجع سابق .

يشكل المسلمون قوة هائلة ومخاطر كبيرة»^(١).

إذن ، فاستمرار التواصل الحضاري الإسلامي ، واستمرار الإسلام وحيويته لهذهمة وقدرته على التجديد والانتشار أمر لا يختلف عليه اثنان ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن المسلمين يشكلون مساحة جغرافية هائلة وثقلاً سكانياً كبيراً يمتد من طنجة إلى جاكارتا ، ومن أنقرة إلى جنوب أفريقيا ، وكذلك الإمكانات والثروات الهائلة لأمكننا أن نرشد الإسلام ليكون الحضارة العالمية . وفي هذا الصدد فإن هناك العديد من العوامل التي تركز وتترجح هذا المنحى .. فمن ناحية ، فالعالم الإسلامي يقع في ثقله الأساسي في قلب العالم ، وفي أهم المساحات الجغرافية فيه ، كما أنه يوجد أيضاً بنسب متفاوتة في جميع القارات والدول بعكس الحضارة الغربية التي تتركز في أوروبا وأجزاء من أمريكا الشمالية وأستراليا ، ولا يمكننا أن نقول : إن هناك تواجداً حضارياً حقيقياً للحضارة الأوروبية في أمريكا الجنوبية أو أفريقيا أو حتى آسيا ، لأن الوجود في تلك البلاد شكل من أشكال الخضوع والإلحاق القسري دون السماح لهم بدخول البيت الحضاري والقيمي للحضارة الغربية ، أما المسلم فهو بالضرورة يحمل السمات الحضارية للإسلام والحضارة الإسلامية سواء كان في أفريقيا أو آسيا أو أوروبا أو أمريكا الشمالية أو الجنوبية أو أستراليا أو حتى في بلاد «الواق واق» .

والنقطة الثانية ، في هذا الصدد أن القيم الحضارية الإسلامية من خلال المسلمين موجودة في كل القوميات والأعراق والأجناس ، فالعربي والتركي والفارسي والهندي والصيني والياباني ، والأوروبي ، والأمريكي ، بل والقوقازي يوجد بينهم مسلمون ، وكذلك السود والبيض والحمرة والصفر مما يجعل الحضارة الإسلامية

(١) ريتشارد نيكسون - الفرصة السانحة - ترجمة أحمد صدقي مراد .

مقبولة مسبقا من شخصيات من كل القوميات والأعراق والألوان والأجناس ،
بعكس الحضارة الغربية التي تقتصر على جنس واحد هو الأبيض ومساحة جغرافية
محدودة في أوروبا وأمريكا الشمالية وأستراليا .

والنقطة الثالثة ، في هذا الصدد هي أن الحضارة الإسلامية أيام قوتها نجحت في
التعايش مع العديد من الحضارات الأخرى ، دون أن تمارس قهرا حضاريا على
أحد بل وسمحت لهذه الحضارات أن تعبر عن نفسها وأن تستمر ، ولو كانت
الحضارة الإسلامية حضارة تقوم على القهر لكانت أدمجت تلك الحضارات معها
قسرا أو دمرتها وقد كانت تمتلك القوة لتحقيق ذلك ، وبالتالي فإن جميع حضارات
الأرض لا تزال قائمة يمكن أن تقبل التعايش في ظل الحضارة الإسلامية دون قلق ،
ويمكن أن تتفاعل معها بلا حساسية لأنها قريبة من العائلة الحضارية للإسلام أولاً ،
ولأنها من خلال التعايش مع الإسلام أيام مجده نسجت علاقات ووشائج يمكن
البناء عليها اليوم ، بل إننا لا نبالغ في القول بأن الانتماء الحضاري الإسلامي لا
يقتصر على المسلمين بل يضم معهم معظم سكان الأرض في آسيا وأفريقيا وحتى
مسيحيو الشرق يؤكدون أنهم ينتمون إلى الحضارة الإسلامية وإلى الإسلام كثقافة
وحضارة ووطن مع احتفاظهم بعقيدتهم الدينية ، فهذا الزعيم القبطي مكرم
عبيد يقول: « أنا مسلم ووطناً ، مسيحي عقيدةً » .

وإذا تركنا كل هذه الجوانب التي تزكي ترشيح الحضارة الإسلامية لتكون
حضارة العالم في الغد ، وأخضعنا القيم والممارسات الحضارية الإسلامية للمعايير
الضرورية لأي حضارة تريد أن تكون عالمية ، وهي المعايير التي أثبتنا بها في الجزء
الأول من هذا الفصل عدم صلاحية الحضارة الغربية للعالمية لوجدنا أنه من ناحية
ضرورة أن تكون الحضارة العالمية حضارة لا عنصرية وتسمح بدخول الأبيض

جرائم أمريكا والغرب

والأسود والأحمر والأصفر فيها ، فهذه سمة واضحة في الحضارة الإسلامية ، فلقد ضمت تلك الحضارة على قدم المساواة بالفعل ومنذ نشأتها جميع الألوان والأعراق والقوميات دون تمييز ، بل كان من قادتها ومفكرها وفلاسفتها وحكامها وأمرائها لأبيض والأسود والأحمر والأصفر ، العربي والتركي والفارسي والمغربي ، والنص لقرآني يقول:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ، والحديث الشريف يقول: « لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى » .. بل أكثر من هذا فإن تجربة الإسلام الأولى قد ضمت لآل الحشبي ، وصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي كإشارة وإرادة إلهية واضحة لدلالة ، وكذلك فتجربة الإسلام المعاصرة ومن خلال الحركة الإسلامية جعلت رجلاً أسود أميناً عاماً لها هو الدكتور « حسن الترابي » ، ومنظمة الدول الإسلامية جعلت أفريقيا أميناً لها هو « حامد الغايد » .

ومن حيث عدم ازدواج المعايير ، فإن الحضارة الإسلامية أبرز من يقدم هذا .. « والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها » .. والخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأتي بالقبطي المصري الذي ضربه ابن عمرو بن العاص ويقول له: اضربه كما ضربك .. اضرب ابن الأكرمين ..

والتوجيه الإلهي يأمر المسلمين بضرورة عدم ازدواج المعايير حتى مع الأعداء ، وحتى مع الذين نكرهمهم ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُمُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ .

ومن حيث ضرورة أن تكون الحضارة العالمية آمنة على البيئة وعلى مستقبل الحياة البشرية على الأرض ، فالحضارة الإسلامية أكبر من يبرز هذا المفهوم ، لأن عملها في الدنيا مرتبط بالمسئولية أمام الخالق ، وبالتالي فلا تبحث عن المنفعة

اللاأخلاقية بل تجعل كل عمل موجه لإرضاء الله تعالى ولإسعاد البشر ، وبالتالي فلا إفساد للبيئة ، ولا إنتاج أشياء ضارة أو مدمرة على حساب سعادة الإنسان بل كل شيء يخضع لتوجيه وأهداف عليا تحرص على التوازن الفردي والجماعي وتحرص على عدم الإفساد وتحرص على أن يكون هدفها سعادة الإنسان وليس مجرد الربح والإنتاج . بل إن الحضارة الإسلامية في أيام الدولة العباسية كانت تستطيع أن تحقق الانشطار النووي ولكن المسار العلمي المرتبط بالغايات والأهداف الأخلاقية حال دون ذلك ، لأنه لم يكن ضرورياً للإنسان في ذلك الوقت .

والحضارة الإسلامية حضارة مسئولة ، فإذا كانت الحضارة الغربية يموت في ظلها وبسببها ٥٠ مليوناً من البشر سنوياً بسبب المجاعة من ضمنهم ١٥ مليون طفل ، فإن الحضارة الإسلامية لا تسمح بالجوع في أي ظرف ولا تسمح بأن يستأثر مجموعة من الناس بالرفاهية على حساب الآخرين .. ﴿ كُنْ لَا يَكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ ﴾ .. ليس منا من بات شبعانا وجاره جائعاً .. والجار هنا قد يكون فرداً أو أسرة أو مدينة أو دولة أو قارة وهكذا .. « إذا جاع الناس فلا مال لأحد » .. « لأخذت فضول أموال الأغنياء فردتها على الفقراء » .

وليس الجوعى أو الفقراء أو الأطفال وحدهم الذين تقول الشريعة الإسلامية بمسئولية الدولة الإسلامية عنهم ، بل حتى الحيوانات .. فعمر بن الخطاب يقول: « لو أن دابة في العراق عثرت لحفت أن يحاسبني الله عليها ، ويقول يا عمر : لماذا لم تمهد لها الطريق ! »

والحضارة الإسلامية لم تقم على النهب والقهر والإكراه ، فأولاً : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ وثانياً : الجهاد الإسلامي والفتح الإسلامي لم يكن بسبب أو رغبة في النهب والسيطرة بل كان من أجل تحرير البشر وتحقيق حرية الاختيار أمامهم ،

بمعنى إزالة الأنظمة الطاغوتية التي تقهر الناس على الفقر أو الجهل أو تخضعهم لأفكار معينة لا يستطيعون رفضها ، ثم ترك الناس بعد ذلك ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر دون خوف من إفقار أو نهب أو تعسف أو ظلم ، ولنستدعي شاهداً من أهلها ليقول لنا هذا ، وهو « غي دي بوشير »^(١) . يقول د . محمد عصفور نقلاً عن « غي دي بوشير » : يتساءل غي دي بوشير « هل يمكن أن نعتبر التوسع الإسلامي ظاهرة استعمارية ؟ وهو ينفي ذلك سواء من حيث الأساس أو من حيث البنيان ، فمن حيث الأساس لم تكن تقف وراء التوسع الإسلامي حوافز التوسع الاستعماري ولا غاياته ، فهو لم يكن يرمي إلى إخضاع الشعوب ولا استغلال مصادر الثروة الاقتصادية في البلاد المفتوحة لصالح الفاتحين وحدهم بل كان يرمي إلى دعوة الشعوب إلى الدين الجديد ، هذا إلى جانب أن الفتح الإسلامي كان يستهلم هدفاً مزدوجاً ، فقد كان يرمي إلى غلبة حق القوة وقوة الحق في وقت واحد معاً ، أما المستعمر الأوروبي فلم يكن يستبقي إلا حق القوة ، كان الفاتح الإسلامي يشارك أهل الأمصار المفتوحة في الفتح بعد اعتناقهم الدين الجديد ، فيصبحون بدورهم فاتحين فيحيون حياة جديدة بمعنى الكلمة فيصبحون أكفاء للفتح يقفون معه على قدم المساواة ، وهو أمر لم يفعله المستعمر المسيحي قط ، ذلك أنه عندما كان يدخل أهل المستعمرات في ديانته ، فقد كان يمنحهم مساواة شكلية تقع على الصعيد الروحي في أحسن الأحوال ، أما على المستوى الدنيوي فقد كانت أوروبا عن طريق المستعمر هي التي تحتفظ بكل الحقوق وهي التي تمارس الحكم .

أما من حيث البنيان فلم تكن الإمبراطورية الإسلامية ، وهي ثمرة الفتح تتميز بالقسمات الخاصة التي يتسم بها الاستعمار ، فلقد كان مجرد اعتناق الإسلام كافياً

(١) نقلاً عن الدكتور « محمد عصفور » - جريدة الوفد .

لأن يتيح لأي شعب أن يشارك في الفتح وفي تصريف شئون البلاد . وما يسترعى النظر في ظاهرة التوسع الإسلامي أنه لم تتحقق السيطرة في أي لحظة من اللحظات لقوم ما أو لجنس ما ، بل كانت سيطرة الدين هي التي تتجاوز إطار الأقوام والأجناس ، ولذلك لم تكن ثمة عاصمة واحدة يعود التوسع بالمنفعة عليها وحدها ، ولم يكن الفاتحون من عرب الجزيرة وحدهم بل كانوا في أغلب الأحيان من أهل الشام أو مصريين أو أندلسيين ، فلم يجر فتح أسبانيا على يد العرب بل على يد الأندلسيين بعد أن أسلموا فتغلغل الإسلام في حياتهم إلى أعماق بعيدة بعد أن كان لاختلاطهم بالشاميين والمغاربة أثر كبير من خصائصهم القوية ، وطارت ثقافتهم الرفيعة فيما وراء الحدود الإسلامية وأسهمت إلى حد كبير في تطور الفكر الأوروبي والمعرفة الأوروبية من خلال قرون ما قبل عصر النهضة .

ويرى الأمير شكيب أرسلان في مقال بعنوان (التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي) أن أحد الوزراء العثمانيين كان مرة في أحد المجالس في جدال مع بعض رجال دولة أوروبا فيما يتعلق بهذا الموضوع ، فقال لهم الوزير العثماني: «إننا نحن المسلمين من ترك وعرب وغيرهما مهما بلغ بنا التعصب في الدين فلا يصل بنا إلى درجة استئصال شأفة أعدائنا ، وإن كنا قادرين على استئصالهم ، ولقد مرت بنا قرون وأدوار كنا قادرين فيها على ألا نبقي بين أظهرنا إلا من أقر بالشهادتين ، وأن نجعل بلداننا كلها صافية للإسلام ، فما هجس في ضمائرنا خاطر كهذا الخاطر أصلاً ، وكان إذا خطر هذا ببال أحد من ملوكنا ، كما وقع للسلطان سليم الأول العثماني ، تقوم في وجهه الملة ويواجهه مثل « زنبيلي على أفندي » شيخ الإسلام ويقول له بلا محاباة ليس لك على النصارى واليهود إلا الجزية وليس لك أن تزعجهم عن أوطانهم فيرجع السلطان عن عزمه امتثالاً للشرع الخفيف ، فبقى بين أظهرنا أهل

جرائم أمريكا والغرب

حتى أكبر القرى وأصغرها من نصارى ويهود وصائبة وسامرة ومجوس ، وكلهم كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، أما أنتم معاشر الأوربيين فلم تطيقوا أن يبقى بين أظهركم مسلم واحد ، واشترطتم عليه إذا أراد البقاء بينكم أن ينتصر ، ولقد كان في أسبانيا ملايين وملايين من المسلمين ، وكان في جنوب فرنسا وفي شمالي إيطاليا وفي جنوبها مئات الألوف منهم ، ولبثوا في هاتيك الأوطان أعصرًا مديدة ، ولا تزالون تستأصلون منهم حتى لم يبق في جميع هذه البلدان شخص واحد يدين بالإسلام ، ولقد طفت ببلاد أسبانيا كلها فلم أعثر فيها على قبر واحد يعرف أنه قبر مسلم»^(١).

ويقول دكتور إسماعيل الفاروقي: «لقد بلغ المجتمع الإسلامي حدودًا تفوق التصور في توفير حرية الاعتقاد للآخرين ، ولقد مد المسلمون تلك الميزة - حرية الاعتقاد - التي منحها الله لليهود والمسيحيين والصائبين في القرآن حتى شملت الزرادشتيين ، والهندوسيين ، والبوذيين والموالين للديانات الأخرى عندما اتصلوا بها»^(٢).

ولم يقتصر الأمر على مجرد حماية الأقليات وتحقيق حرية الاعتقاد للآخرين ، بل تعدى إلى قيام المسلمين بحفظ التراث الحضاري للديانات الأخرى ، فهذا أبو الريحان البيروني ، وهو من أعظم علماء المسلمين ، قد لخص مذهب المانوية في مواضع كثيرة من كتبه ، وقال إن كتب «ماني» تضمنت كيدًا للأديان والإسلام من بينها ، ثم أضافت أنه وجد يومًا مجموعة من الكتب فيها كتاب اشتمل على كتب لمانوية وعدة رسائل «لماني» وفي جملتها سفر الأسفار ، فغشيني له من الفرح ما

١: شكيب أرسلان - حاضر العالم الإسلامي .

٢: د . إسماعيل الفاروقي - الإسلام بين الديانات السماوية العظيمة .

يغشى الظمآن من رؤية الشراب»^(١).

«إن هذا العالم الجليل المتمسك بالإسلام وهو أحد علمائه ويعرف أحكامه العظيمة يعز عليه كتاب يتضمن كيدا للأديان وللإسلام فلا يطالب بحرقه أو مصادرته ولا يمتنع عنه ، ولكنه يفرح ويغشاه من الفرح ما يغشى الظمآن من رؤية الشراب»^(٢).

الذين لا يفهمون الإسلام ، أو يكرهونه ابتداء يحاولون أن يقرنوا الجهاد في الإسلام بالعنف الأوروبي ، ويقولون إن هذا مثل ذاك ، وإذا كان العنف الأوروبي هو غاية في حد ذاته ووسيلة للسيطرة والقهر والنهب ، فالجهاد في الإسلام وسيلة فحسب عكس العنف الأوروبي ، إنه وسيلة للقضاء على القهر والنهب والسيطرة .. إنه في الحقيقة ثورة من أجل التحرير ، تحرير الإنسان في كل مكان من العبودية للبشر إلى العبودية لله وحده .

وإذا كان مفكرون منصفون من الغرب مثل إن دوبشير كما ذكرنا من قبل قد أثبت اختلاف الفتح الإسلامي عن التوسع الأوروبي في الغايات والأهداف والممارسات ، فإن الأمر في حقيقته - وإذا ما تم فهم الجهاد الإسلامي والفتح والغزو في الإسلام في إطار موضوعي - يكون تأكيداً جديداً على عالمية الإسلام بل وإحساسه بالمسئولية الأخلاقية تجاه البشر جميعاً ، إن الجهاد في الإسلام ليس موجهاً ضد الناس ولكنه موجه ضد الأكاسرة والقيصرة ، إنه ليس موجهاً ضد المستضعفين بل موجه ضد من يستضعفونهم ..

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [النساء: ٧٥]

إن الفتح الإسلامي والجهاد الإسلامي عندما فتح فارس مثلاً فإنه في الحقيقة قد

(١) محمود الشراقوي - تقويم الفكر الديني .

(٢) فهمي هويدي - موقع غير المسلمين في المجتمع الإسلامي - دار الشروق .

جرائم أمريكا والغرب

حرر الفرس من طغيان الأكاسرة وأعطاهم حق الاختيار كاملاً ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، وعندما فتح الإسلام الأندلس التي كان يسود فيها قبل الفتح الإسلامي نظام إقطاعي يعطي الحق للسيد الإقطاعي في التحكم في رقيق الأرض بيعاً وشراءً وقتلاً وتجويعاً كما يريد ، فإن هذا الفتح قد حرر هؤلاء العبيد وأعطاهم الأرض التي يزرعونها ليحصلوا على خيراتها وهو بذلك قد منع نهب السيد الإقطاعي لعرقهم وحررهم في الوقت ذاته .

يقول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة) .

أي جاهد حتى لا تستمر فتنة إكراه الطغاة للناس على فكر معين وأسلوب معين ، وحتى لا تستمر فتنة القهر والاستبداد والظلم والنهب ، وحتى لا تستمر فتنة تأليه الحكام لأنفسهم وإرغام الناس على ذلك ، أي جاهدوا لتخرجوا الناس من عبادة رب الناس الذي يستوي أمامه الأمير والصعلوك ، المالك والأجير ، قاتلوا فإذا انتهوا أي كفوا عن القهر والنهب وتأليه أنفسهم على حساب الناس فلا عدوان إلا على الظالمين ، أي لا عدوان إلا على من يعود إلى الظلم أو يحاوله مرة أخرى .

إن مفهوم الجهاد في الإسلام مرتبط بمفهوم الدعوة ، وهو وسيلة لتحقيق حرية الدعوة ، أي تحقيق كل الحرية والإنصاف والعدل للناس وتركهم بعد ذلك يختارون ما شاءوا من عقيدة ، وصحيح أنهم كانوا يختارون الإسلام ، ولكن ذلك ليس بسبب شيء آخر سوى أنه دين الفطرة .

إن الله تعالى خلق الناس على فطرة الإسلام ، بل عرفهم به قبل أن يبعثهم في الأرض ، وهو ما يسمى في الفقه بميثاق الذراري: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ

إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ [الأعراف] .. ثم إن الله تعالى قد خلق للناس عقولا يستطيعون بها الاهتداء بسهولة ويسر إلى وجود الله ووحدانيته ودينه الحق «الإسلام» كما أنه تعالى خلق في الكون من الآيات والعبر ما يؤكد وجود الله تعالى ووحدانيته وصحة دينه «الإسلام» ، ثم من وقت لآخر يذكر الناس بهذا الدين والمنهج ويمدّهم بالأسلوب الصحيح لإعمار الحياة والفوز في الآخرة عن طريق الرسل والأنبياء . وما دامت الفطرة والقلب والعقل كله تقود إلى الله ووحدانيته ودينه الحق «الإسلام» .. إذن فمن الطبيعي أن يهتدي الناس إلى الإسلام بسهولة ويسر ، ولكن القوى الشيطانية جاءت لتحول بين الناس وفطرتهم وعقولهم وقلوبهم ، جاءت لتطمس الفطرة بأساليبها الملتوية ، جاءت لتمنع حرية التفكير عن طريق الاستبداد السياسي والقهر والإعلام الموجه ، جاءت لتقوم بنهب الناس وتحويلهم إلى محرومين حتى يؤدي هذا الحرمان إلى الضغط على الناس بعيداً عن فطرتهم وبعيداً عن تشغيل عقولهم واستخدامها .

والمطلوب من المسلمين والهدف - بالتالي - من الجهاد هو إزالة هذه القوى التي تحول بين الناس وحرية التفكير ، أو تحرم الناس اقتصادياً أو تضللهم إعلامياً واجتماعياً ، والمطلوب هو إزالة هذا الطغيان السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، لتصبح هناك حرية ويصبح هناك اختيار بلا ضغوط سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية ، ويصبح هناك إشباع لحاجات الناس فلا يظنون أسرى هذه الحاجات .

المطلوب ببساطة من المسلمين ، والهدف - بالتالي - من الجهاد هو إزالة الإكراه بأي صورة من الصور سياسية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية أو إعلامية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ المطلوب هو تحقيق حرية الاختيار ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .

وهكذا فإن الجهاد والفتح في الإسلام ليس قهراً بل تحريراً ..